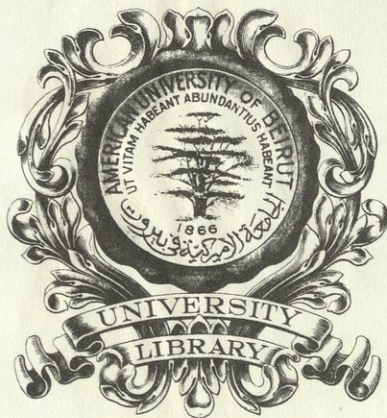
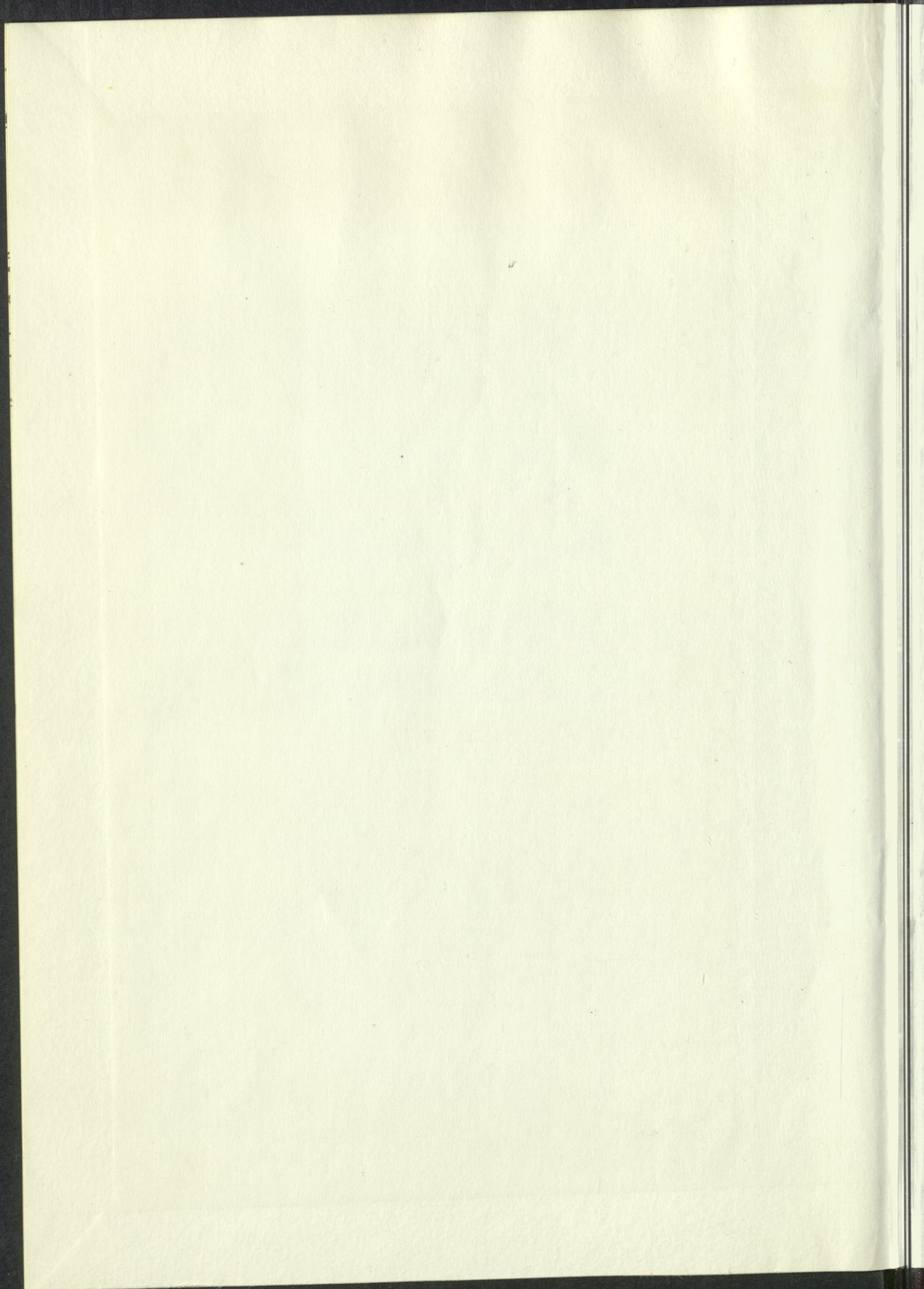


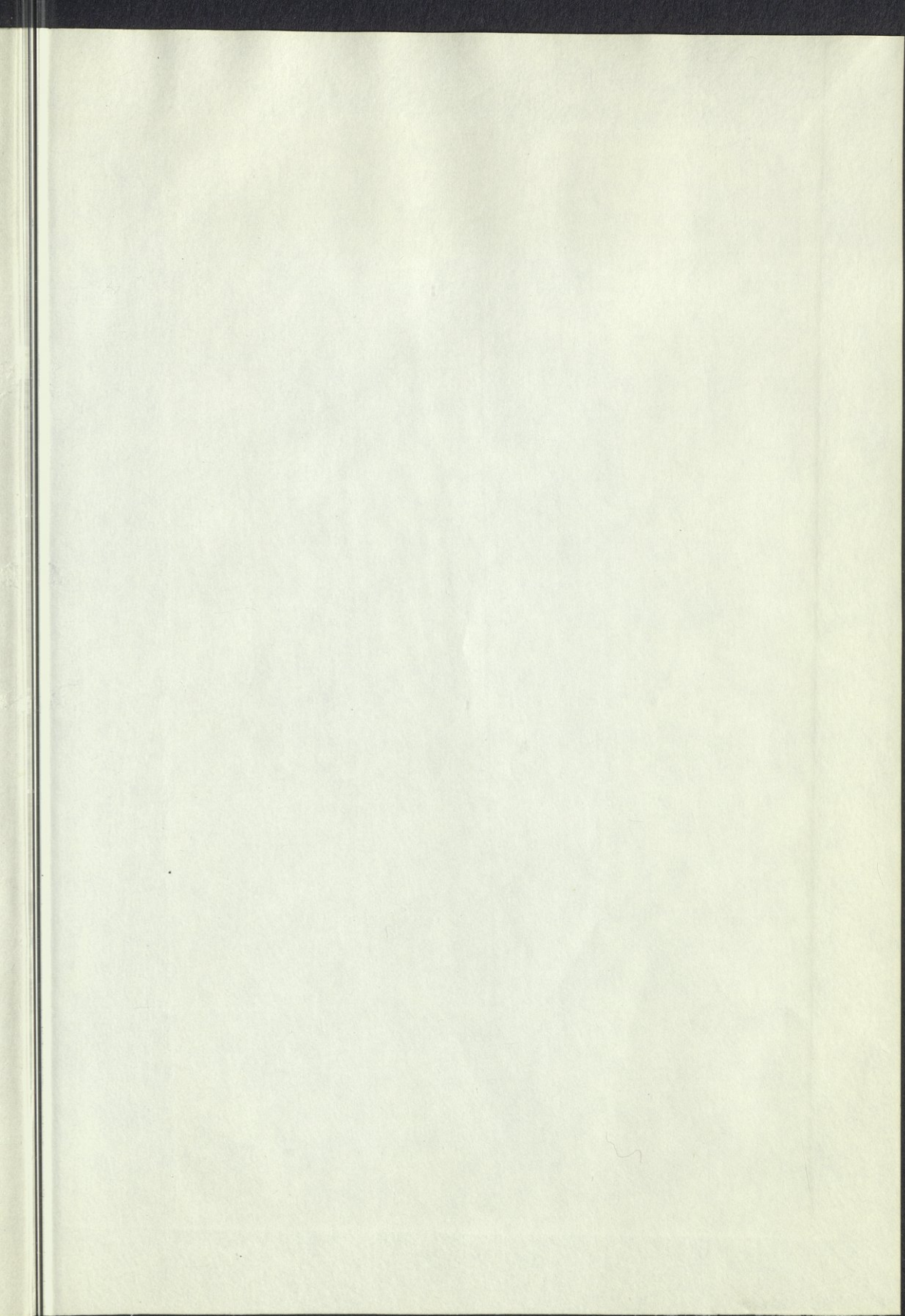
A. U. B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



PHILIP HITTI COLLECTION





بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

في هذه الأوقات العصيبة
التي يمر بها العالم كله
وخاصة الشرق الأوسط
والمسلمين في كل مكان
فقد وجدنا أنفسنا
في حالة من الغم والحزن
والتفكير في مستقبلنا
والمستقبل لأمتنا
والمستقبل للدين الإسلامي
والمستقبل للعالم بأسره

الحكمة ومثلها

عن أبي ذر الغفاري

١٩٣٣

Philyp K. Asmi
تقدم من المؤلف الى طلبة الادب
الكبير الأستاذ السيد فيدي

حبيب ط ٩٢

مع الرجاء ان يسلط ليعلم في هذا الكتاب والكتاب الثاني برفقة
وما ازاله يوافق ترجمة احدها للغات الاجنبية فكل من حظوظه اكثر من ضيق

لا اكبر ضيقه من المؤلف فمع ان
توفيق حسن بنادر الشرتوني ليعلم على القصد الذي تقدمت

بيروت شارع المصم
مى وفن مكتب الهندس خلد افق

892.78
Sh562hkA
C.1

الحكيم وسليمان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٩٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

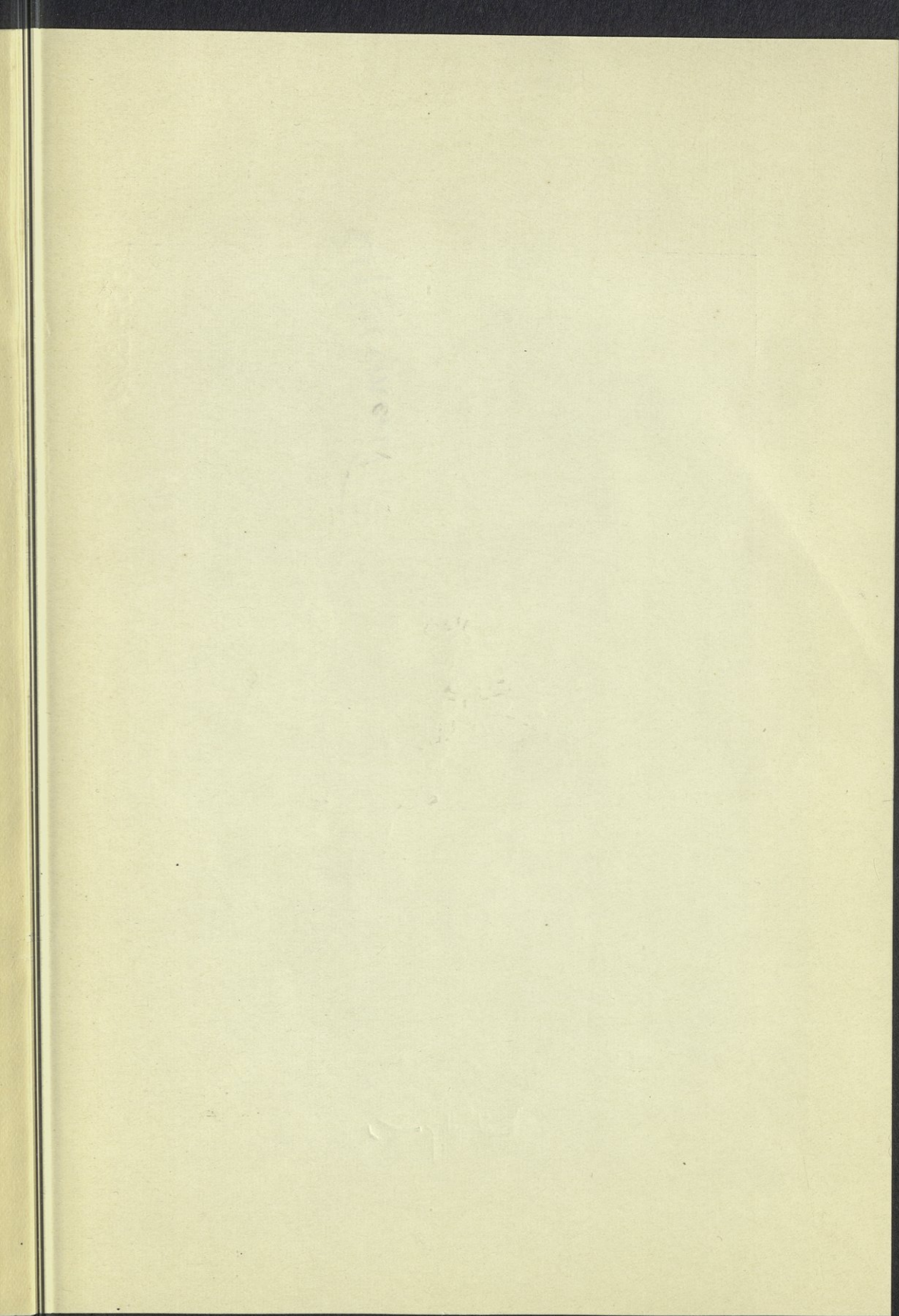
الحمد لله الذي جعل القرآن
موسى بن جعفر

٧٩٧١

١٥٥-١٣٥٦



رسم المؤلف



مقدمة الكتاب

ليس كتابي هذا كتاباً خيالياً ولا هو فقط كتاب الحكيم
وسلي وإنما هو بالحقيقة كتاب كل فتى وفتاة وكل رجل وامرأة.
لأن الطبيعة البشرية واحدة لا تتبدل ولا تتغير يشعر بها كل
الناس على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم واجناسهم

فكما شعرت سلي بالحب وخبرت مشاكه ومتاعبه هكذا
تشعر معظم الفتيات وكما علق الحكيم هكذا يعلق معظم الرجال
ولهذا السبب وضعت هذا الكتاب الذي تدور مباحثه
عن المحبة الجنسية وما يتخللها من الالفة والجفاء والامل والغناء
والياس والرجاء

وبما انني درست العاطفة الانسانية درساً مستفيضاً وسبرت
غور نزعاتها واميالها وعرفت اسباب ضعفها وعوامل آلامها
وبألمها جئت بكتابي هذا ناصحاً مرشداً الى طريق الخير والراحة
والطمأنينة.

ولم اعتمد في كل ما ديجّه يراعي الأعلى ما خبرته بنفسه
ولاحظته بسواي

وليعلم ابناي اني في كل ما اكتبه ليس لي رائد سوى
رائد الخير وليس لي شعار سوى شعار الاصلاح الاخلاص
وما قصة الحكيم وسلي التي تملأ كتابي هذا سوى قصة
واقعية تحدث في كل آن وفي كل زمان
عسى ان يعبرها الناس التفاتهم ويتدبرونها بامعان وتبصر
آمالاً ان نكون عظة لالمشقين وتعزية لليائسين وسلواناً
للكافرين

مترنون في اول آب سنة ١٩٣٣

نوفيس حسن نادر

الشرنوبلي

الحكيم

على طريق النزهة

في اليوم التاسع عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٢ بكر
الحكيم على عادته للتنزه في ضواحي مدينة بيروت ، واجتاز طريق
الاشرفية الى ان بلغ معامل السيوفي .
فوقف حيناً على تلك الربوة الجميلة متأملاً في مشاهد الطبيعة
الفتانة المتناقضة .

وكان السحاب في تلك الاونة يغمر البحر ثم اخذ يعلو شيئاً
فشيئاً فوق السهول والجبال والوهاد . وما هي بضع دقائق حتى
ملاً الافق وحجب نور الشمس عن البصر . ثم جاء يروقه ووروده
ينذر بدنو العاصفة .

فتلفت الحكيم متطلعاً في ما حوله ليرى اقرب منزل او مغارة
ياوي اليها من غضب المطر الزاخر فشاهد خيمة قائمة على بضع
خطوات منه . وما ادرها حتى اخذ المطر يتساقط غزيراً
كأنه من افواه القرب .

في النخلة

هناك في داخل الخيمة جلس الحكيم على مقعد من الحجارة
امام نافذة مظلّة على البحر والنهر والسرود والادوية .
اجال طرفه اولاً في السهول والجبال المجاورة متأملاً في
الغيث المنهمر على كل مكان . فخيّل اليه كأن المطر يرمي الى
غايبتين : الاولى انعاش الطبيعة وحيائها كافة . والثانية اتخاذه
طريق الرجعة الى مصدره البحر .

اجل ان الغيث المنهمر على سطح الارض لا يلبث ان يتغلغل
في قلبها فيؤلف البرك والبحيرات التي منها ينبثق الجداول والانهار
الجارية الى البحر .

ثم تلقّت الحكيم في الخضم الراسي على اقدام لبنان فشاهد
بعض الغمام يغرف منه ويمطر به .

ورأى البعض الاخر يطر على اليابسة بالقرب من البحر ولا
يلبث ماؤه حتى يعود اليه .

وشاهد مطراً آخر يسقط في الصحاري المرملة والاراضي
الجديدة . ومطراً يقع على الارض الجيدة والاماكن الخصيبة .

فقال في نفسه : هذا المطر الاخير هو وحده يؤدّي الى الغايتين
 غاية ارواء الارض وغاية رجوعه الى مصدره .
 ثم اخذ يتأمل في الناس فرآهم يشبهون المطر كل الشبه .
 فالطفل الذي يقضي اثر ولادته يشبه قطرة الماء التي تخرج
 من البحر وتقع فيه .

والطفل الذي يعيش قليلاً يشبه المطر المتساقط بالقرب من
 البحر ولا يلبث ان يعود اليه .

والبشر الذين يؤلفون الامم والشعوب يشبهون من كل الوجوه
 الامطار التي تؤلف في قلب الارض البرك والبحيرات

وكما تتولد من اوائك الامم الجيوش والكتائب والجماعات
 المتعددة . هكذا تنبتق من تلك الخزانات المائية الينابيع والجداول
 والانهر التي لا عداد لها .

والبشر الخاملون الذين يعملون في حياتهم عملاً مفيداً يشبهون
 المطر الساقط في الصحراء ولا يرجى منه نفع .

اما الناس العاملون الشيطون فهم بحق يشبهون الغيث الواقع
 على الارض الجيدة والاماكن الطيبة .

ان غاية الحياة تكمل بمثل هؤلاء البشر النافعين كما تكمل بمثل
هذا المطر النافع .

وكما ان جداول الماء الجارية حتى في الاماكن السحيقة تعود
مهما كلفها الامر الى مصدرها البحر . هكذا الناس مهما طالت
حياتهم على الارض يعودون الى صلبها .
وكما تخسر الجداول حياتها الاستقلالية بعد انضمامها الى البحر
ولكنها تبقى حية به . هكذا الانسان بعد انضمامه الى امه الطبيعة
يخسر حياته الفردية لكنه يحيا بها .

سلمى في الخيمة

وبينا كان الحكيم في هذه التأملات اذا بفتاة في مقتبل العمر
على جانب وفيه من الجمال تدخل الخيمة والمطر قد بلل ثيابها
وعلامات الحزن العميق مر تسمية على محياها . ولما رأت رجلاً جالساً
هناك ذعرت وهمت بالرجوع .

فجاءها الحكيم قائلاً : الى اين تذهبين والمطر هتون
والعاصفة شديدة الهول . اجلسي هنا ولا تتجازي بنفسك .
اجلسي الى ان تسكن الزواجع وننفرج السماء قليلاً فعندئذ
تذهبين الى حيث تريدن .

فوعت كلامه وجلست بقربه خافضة الرأس مستسامة
لهواجسها وتخيلاتهما .

مرت ساعة وهي مطرقة الى الارض لا تعبر الرجل الجالس
بقربها التفاتاً ولا المطر الساقط امامها اهتماماً .

وكانت عينها غير مفتحتين ولا مغمضتين لكنهما هائمتان في
الارض كأنهما ننشدان خيالاً عميقاً .

كانت والحق يقال كأنها مستيقظة نائمة تمثل في سكونها رواية
حلم مزعج تختلله بعض المشاهد الرائعة .

كانت تارة تنهد تنهداً بعيد الغور ونتمت بعض كلمات غير
مفهومة وطوراً كان يبدو على ثغرها بريق ابتسامة لا تلبث قليلاً
حتى تفارقها كأنها تحمل احدى نذارات هوائها القديم .

مدرسة التعارف

وكان الحكيم في تلك الآونة يسارقها النظر ليستطلع دخائلها
لعله يكتشف شيئاً مما تضمرة وراء هذه المظاهر المتناقضة
فادرك شيئاً من مكنونات صدرها ثم اراد مكالمتها اتبوح له
بما في نفسها لعله يرشدها الى ما به خيرها وهناؤها .

فخطبها قائلاً : ما بالك ايتها الفتاة تحديقين في الارض ساجدة
في بحر من التأملات والهواجس

ارفعني نظرك قليلاً وابصري جمال الطبيعة المحيطة بك .
تأملني في السماء والماء — مريح طرفك في هذه العصافير
الجميلة التي قامت تستقبل المطر بفرح وحبور . الا ترينها تزفون
متنملة من غصن الى غصن مبتهجة في تغاريدها وشدوها .
تأملني في الاشجار كيف تنهادي وتتمايل تجاه العواصف .
فكما ترينها ترقص الان امام المطر في اوراقها وغصونها هكذا
تتهلل في داخل جذوعها .

ان البذور المائتة في جوف الارض تشعر الان في داخلها
بابتسامة الحياة لان المطر هو الذي ينعشها ويلقي في قلبها تلك
الابتسامة المحيية .

فلماذا انت لا تنتعشين في قلبك كما تنتعش جذوع الاشجار
وبذور الارض ؟

كل ما في الطبيعة يسم للمطر الذي هو ماء الحياة فلماذا لا
تبسمين ؟

سلي — دعني وشأني ايها الرجل

الحكيم - صرّحي ايتها الفتاة بما يؤلمك لعلني اسرّي عنك بعض الغم .
 فانا من الذين يكون مع الباكين ويستأنسون بالمفجوعين واليائسين
 صلى - لا اشك بنبالتك وحسن مباديك لكنني ارجو منك ان تتركني
 الان انا جبي نفسي في سكونها . دعني احمل وحدي اثقال همومي
 وهو اجسبي لا تطلب مني افصاحاً لان الافصاح يزيدني ثجواً والمأ
 الحكيم - افصحي بربك ولا تخافي لان الافصاح امام رجل عاقل
 يعمل على تخفيف آلام الانسانية يزيدك راحة لا ألماً .

صرّحي عن كلوم نفسك لعلني احمل اليها بلسماً شافياً وشرّحي
 عن اسباب دائك لعلني اصف له دواءً ناجعاً .
 صلى - مالك ومالي ايها الرجل ان دائي عضال لا يشفى . لقد تأصلت
 جراثيمه في لحمي ودمي وفي كل عرق نابض من عروقي حتى امسيت
 لا اعتقد بانني فتاة تحمل داءً بل يخيل اليّ انني الداء بعينه .
 الحكيم - لا تقنطي ايتها الفتاة .

صلى - كيف لا اقنط يا صاح وانا الفتاة التاعسة التي ودعت صفو
 عيشها وحلاوة ايامها وداعاً ابدياً .

انا العاشقة المنسحقّة القلب المبتلاة بداء الحب المصابة باحد
 سهم من سهام الجفاء والخيانة .

لقد امسيت كالحشيم المحترق في مهب الريح . فكما انه لا يخمد
سعيه حتى يصير كل ما حوله رماداً . هكذا قلبي لا تخمد ناره
حتى يحول جسدي تراباً .

الحكيم - ليس الحب بطبيعته داءً بل دواءً ايها الفتاة . فهو ليس كما
تعتقدين مبعث الالم والشقاء بل هو مورد من اعذب موارد الرجاء
والاماني .

اما الجفاء والخيانة وهما الداءان اللذان يفتكان بالحب فلست
انت المصابة بهما بل حبيبك .

ان هذه السهام التي تصيب فؤادك الان وتشعرين بشدة
كلومها وآلامها ستقلب عما قليل فتصبح بلسماً على قلبك وجراحاً
دائمة في قلبه .

سلمى - لا ، لا ارجو عذاباً لمسبب عذابي ويألمي . بل كل ما اتمناه
الان ان يمن الله عليّ ولو بالنزر اليسير من وميض املي المفقود
وبريق رجائي الضائع .

ما اتعسني فتاة قضي على احلامها وامانيها .
الحكيم - ان مسالك الغرام وعرة كثيرة العقبات فلا بأس عليك ان
كنت في اجتيازها قد فقدت كل رجائك . اذ كثير هم الذين

في مقتبل اعمارهم بضلون مثلك على هذه الطريق . وانا واحد من
 هؤلاء الذين ضلوا منذ عشرين سنة وخسروا كل امل ورجاء .
 ولم يمض زمن طويل حتى وجدت رجاء اشد لمعاناً في القلب
 من ذاك الذي خسرتة واماني اكثر روعة للنفس من تلك التي
 فقدتها . ولهذا السبب انصحك الا تستسلمي لليأس فقصي عليّ
 الان حديث غرامك وانا اعود فاخبرك ببعض ما وقع لي في حبي
 وكيف كنت اعتقد نفسي اكثر خلق الله عذاباً وألماً واشدهم
 تهماً ويأساً .

اعلميني مفصلاً بدء غرامك وسبب آلامك وغداً أعلمك كيف
 داويت غرامي وانتصرت على يأمي وآلامي . لعل تجاري تكون
 لك بمثابة عظة وعبرة .

سلمى نفص مدبت غرامها

الابتسامة الاولى

في اوائل شهر اذار سنة ١٩٢٨ شعرت لأول مرة في حياتي
 بدبيب داء الحب في عروقي . وكان عمري حينذاك ستة عشر
 ربيعاً .

كنت في كل صباح احمل كتيبي واذهب الى المدرسة ناعمة
 البال لا هم لي غير درس مثالي واثقان فروضي .
 وكنت من النابهات المجتهدات في العلم ومن الطالبات اللواتي
 يشار اليهن بالبنان في حسن سلوكهن وكمال اخلاقهن .

وكان اولياء المدرسة بمطرونتي الثناء على فضائي واجتهادي
 وكنت يوماً اقطع الطريق المؤدية الى المدرسة فالتقيت بفتى
 جميل الطلعة عرفت بعد ذلك انه طالب في مدرسة الحقوق وكنت
 سابقاً اصادفه مراراً دون ان اعيره التفاتاً . ولكن هذه المرة لا اعلم
 ما حل بي منذ اكتحلت عينه بعيني . لقد شعرت بنفسي كأني
 مسست سلكاً كهربائياً حينما حياني مبتسماً تلك الابتسامة المعنوية
 التي ملكت لي ومشاعري ولم تنزل حتى الان تملك كل جوارحي
 وحواسي .

دخلت المدرسة ذاهلة العقل والبصر وجلست الى منضدتي
 بين الطالبات لدرس مثالي . ولكن لسوء الحظ شعرت بانني لم اعد
 املك ذهني الذي طلقني وسرح يتبع خطوات هذا الفتى المتأنق
 الجميل مفكراً بابتسامته المعنوية الخلابة .

حان ميعاد الدرس العربي فتأبطت كتيبي ودخلت الى صفتي

وبعد ان جلست كل فتاة الى منضدتها وتلا جميعهن الصلاة المعتادة
 اخذ المعلم يسأل كل طالبة عن امثولتها وفرضها . ولما انتهى المعلم
 اليّ قدمت فرضي لكنني تلعثمت على غير عادة في القاء امثواتي

فذهل الاستاذ لذلك لانه كان يعهد في الاجتهاد والكفاية
 وسألني هل انت مريضة ؟ فاجبته نعم اني اشعر ببحران مع اني لم
 اكن احس . ساءتئذ الا ببحران الابتسامة الاولى من حمى الحب .

اجل لم انطق بالحق لان تلك الابتسامة التي نفذت الى اعماق
 نفسي وفتحت امامي باب الحب على مصراعيه هي ايضاً فتحت باب
 الكذب امامي . فكذبت على استاذي ثم اخذت اكذب فيما بعد
 على ولية المدرسة وعلى والدي ورفيقاتي وسائر معارفي

غابت شمس ذلك النهار فافلت راجعة الى البيت . وماكدت
 الج باب المدرسة الخارجي حتى شاهدت ذلك الفتى الجميل واقفاً
 امامي محيياً مبتسماً . فاطرقت حياءً وخجلاً واشتد وجهي احمراراً
 لكنني لم ابادله التحية حذراً من ريب رفيقاتي رغماً عن كونها
 وقعت في نفسي موقعاً عظيماً وفعلت في اكثر مما فعلته الابتسامة
 الاولى .

وصلت الى البيت مرتبكة في امرى وحائرة في نفسي .

فقابلتي امي بكمال عطفها وحنانها .

اما انا فلم استطع رغم اجهادي النفس ان اقابلها بلطفني العادي
لاني شعرت كأنّ عاطفتي البنوية قد ضلّت او بالاحرى تلاشت
ازاء عاطفتي الجديدة الغرامية التي احتلت فؤادي ومعظم حصون
ذهني .

فقالت امي : ما بالك تخاطبينني بفطور و برودة هل انت
مریضة ؟ او حدث لك ما يشغل ذهنك ؟ فاجبتها كاذبة : اني
اشعر بصداع خفيف في رأسي فوضعت يدها على جبھتي ثم قالت
لا تخافي الزني راحتك قليلاً فيزول الملك .

فدخلت غرفتي واستلقيت على فراشي ثم اخذت انخيل فتاي
الجميل متأملة في تحيته الساحرة وابتسامته الفاتنة . فشعرت بفرح
الحب يستحوذ على حواسي . ثم اخذت الوم نفسي لوما عنيفاً لجبني
عن مبادلة التحية والابتسامة .

وبينما انا كذلك دخل والدي وكانت امي قد اخبرته عن
حالي . فتقدم اليّ وجس نبضي ثم وضع يده على رأسي فلم ير اثرأ
للحى فمش لي واخذني بيده الى المائدة .
لكنتني لم ادق في تلك الليلة مأكلاً لان طعام الحب الذي تناولته

جديداً كان اشهى على قلبي من كل طعام .

ولا ازال اذكر اننا في تلك الليلة استقبلنا بعض العيال التي
جاءت لزيارتنا فحكم عليّ ان اعزف على البيانو وانشد بعض
مقاطع غنائية كنت احيد عزفها وغناءها . لكنني في تلك السهرة
لم اجد عزفاً ولا غناءً .

فاعتذرت امي لصديقاتها عن قصوري وعزت ذلك الى
نوعك صحي .

وفي الساعة الحادية عشرة ودعنا ضيوفنا فذهبت تواء الى فراشي
واخذت احمل نفسي على النوم فلم استطع ان انام .
وقرعت الساعة الثانية عشرة ثم الساعة الاولى بعد نصف الليل
ثم الثانية ولم ازل هاجعة متألمة في هذا الشاب .

لقد كانت بترامى لي في قده الجميل وبزته الانيقة وصوته
الموسيقي العذب ونظراته الفاتنة كأنه ملك في شكل انسان .
وفي منتصف الساعة الرابعة غالبني النعاس قليلاً فاستسلمت الى
سلطان الكرى ثم استيقظت في الساعة السادسة . بيد اني كنت
في خلال الساعات الثلاث التي رقدتها احلم به دائماً .

وفي الساعة السابعة تأبطت كتيبي ومشيت الى المدرسة على

عادتي وعند ما شاهدته على قارعة الطريق تكهرب جسدي وغلا
دم الحب والخجل في عروقي . ثم اقترب مني وحياني بصوت
منخفض قائلاً : اسعدك الله يا ملكي . فلم اجب على هذه التحية
الساحرة التي نفذت الى اعماق كياني لان الحياء غلبني ايضاً هذه
المرّة فبقيت خلال الطريق شاخصة في الارض دون ان انبس
بينت شفة .

اما هو فظل يتبع خطواتي الى باب المدرسة
وفي صباح ذلك النهار لم افتح كتاباً ولم ادرس شيئاً لاني كنت
اسيرة الاحلام والهواجس شديدة الاستياء من نفسي . فقممت
انحني عليها باللائمة واعنفها تعنيفاً شديداً لئلا تجلبها وجبها . ثم اخذت
اعد عدتي متسلحة بكل ما عندي من الجرأة والشجاعة مقسمة ان
احيي هذا الفتي عند اول فرصة تسنح لي .

حان الظهر فتباطأت قليلاً عن الخروج من المدرسة حتى
انصرفت جميع الطالبات ثم خرجت وحدي على امل الالتقاء به
فوجدته على انتظاري ثم مشى بجانب وحياني كهادته . فلم استطع
جواباً رغماً من القسم الذي اقسّمته والجرأة التي اعددتها . فمشيت
مطرقة ومشى ورائي ينفخني بزهرات حبه .

وشعرت في خلال الطريق بهول الحرب المستعرة في داخلي
بين الخجل والحب .

وما كدت ابلغ عتبة البيت حتى ابتداء الحب يكتسح حضون
الخجل . فرفعت عندئذ نظري لحظة وحيث فتاي باسمه باحناء
رأسي .

وكانت تلك التحية الباسمة هي الصلة الاولى المباشرة من
صلات الحب والتعارف

الحسيم - افي جد مراتح الى حديثك اما الان وقد تبددت العاصفة واصبح
النهار في ظهيرته فلنغتشم الفرصة للعود الى منازلنا واذا كان الجو
غداً صافياً فسنلتقي هنا ان شاء الله ونعودين الى اتمام حديثك .
ثم ودعها ومشى الى بيته وذهبت سلمى في سبيلها .

اليوم الثاني

استيقظ الحكيم في اليوم الثاني وكان الجو صافياً جداً فتناول
 طعام الصباح ومشى سالكاً الطريق الذي سلكه امس .
 ولما وصل الى معامل السيوف شاهد الفتاة سلمى على انتظاره .
 فحياها باسمها ثم قال لها : ما حسبتك تبكرين في مجيئك لاني جئت
 مراراً الى هذا المكان في مثل هذه الساعة ولم اصادف بشراً .
 وكنت دائماً اتمتع بشاهد الطبيعة لاهياً بتغريد العصافير الشادية
 في فجرها وبمراى الحشرات المتنوعة السارحة في طلب رزقها .
 وكثيراً ما كنت اقف وحدي متأملاً في قطرات الماء العالقة
 باوراق بعض الاشجار الجبارة .

تعالى معي الان وانظري تلك الاوراق كيف تحضن
 قطرات الندى فهي نفعل ذلك بحافظة على كيانها لا لاجل صيانة
 تلك القطرات لانها تذبل وتحف حين ينضب ماؤها .
 هكذا الجسد يحضن النفس ويحافظ عليها بكل قواه لا لاجلها
 بل لانه يندثر حين تقرب عنه .

سلمى - يظهر لي انك من الفلاسفة الحكماء فاسمح لي من الان فصاعداً
ان ادعوك حكيماً .

الحكيم - لا لست الا رجلاً ساذجاً وهبت قوة الملاحظة والاكتساب
فانا ادرس على امي الطبيعة واتلقن منها بعض المعارف كما يتلقن
الطفل النطق من امه ببلازمته اياها .

ان الطبيعة هي مدرستي وهذا الكون الفسيح بكل ما فيه
من كبير المادة وصغيرها هو استاذي .

والان مالنا وهذا الموضوع فلنعد الى حديث حبك

الحديث الاول

سلمى - مضى اياما الحكيم ثلاثة ايام بعد تحيتي له دون ان اراه . فجذعت
جزعاً شديداً واخذت اتساءل لماذا كل هذا الجفاء ؟ اتراه استاء
مني لعدم محادثتي اياه ؟ ام اصابه مرض اقعه عن لقاءني ؟ ام ذهب
الى خارج المدينة ! ام سبته احدى الفتيات الجميلات فنسيني .
و كنت بالحققة لا ادري ماذا اجيب نفسي الهاجسة به .

فلما كني الفهم الشديد وظهرت بوادره على وجهي حتى امسيت لا
اقوى على اخفائه . وسألتني مراراً امي وبعض معلمائي ورفيقاتي عن

سبب غمي وكنت دائماً انكلف الابتسام امامهن مجيبة بان لاشيء
يعني .

وفي صباح اليوم الرابع ابصرته عند خروجي من البيت فاختلج
قلبي فرحاً وسروراً ثم اقترب مني وحياني فبادلته التحية . ثم اخذ
يسألني عن اهلي وعن المدرسة وهل انا ناجحة في العلم وكم
عمري ؟

وكنت اجيبه على كل ذلك بصوت مفعم خجلاً وحياء
ثم سألتني عن اسمي فقلت له : انا سلمى ابنة راجي كمال و انت
ما اسمك وما هي صنفك فاجابني فوراً كامل عوض طالب في
مدرسة الحقوق

ولما اقتربنا من المدرسة نفرّس بي قليلاً وقال : انا احبك
يا سلمى فهل انت تحبينني ؟ فلم اجبه .

ولما حان الظهر خرجت من المدرسة وتلفت يمنة ويسرة فلم
اجده بانتظاري كعادته بيد اني لم البث طويلاً حتى التقيت به
في منتصف الطريق . فراقني ثم اعاد عليّ سؤاله الاول « انا
احبك يا سلمى فهل انت تحبينني ؟

فبقيت صامته ايضاً لكن اسرّة وجهي كانت تظهر رغم صمتي

التام انني اكثر منه محبة وانشغافاً فشعر بذلك ثم قال
لي : اين تريد ان نلتقي ؟ فأجبت لا ادري . قال : أتعرفين
اين تقوم معامل السيوفي ؟ قلت : نعم . قال : اذن هناك اود ان
نلتقي ظهر الخميس اذلا واجب مدرسي عليك . هناك نكون بمزل
عن الرقباء ونحدث طويلاً . فامتثلت امره .

اللقاء الاول

والان تعال معي ايها الحكيم أدلك على المكان الذي التقيت
به لأول مرة في حياتي .

فرافقها الحكيم ومشيا بضع خطوات الى ان وصلا الى قرب
شجرة من الصنوبر قديمة العهد . فوقفت هناك واومأت بيدها
قائلة :

هنا تحت ظلال هذه الشجرة كان لقاءنا الاول . اجل هنا
جلست بجانب حبيبي واطلقت العنان لعيني كي تتمتعاً بملامحه
الجميلة .

هنا ثملت من رحيق لطفه وخمرة حديثه ذلك اللطف المتناهي
الذي لم يكن ينم ساعتئذٍ إلا عن حب طاهر وهوى عذري . وذلك

الحديث العذب الذي لم يكن يدل في البداية الا على محبة خالصة
ووفاء تام .

ان هذا المكان ظل مدة طويلة مركز اجتماعنا ولهذا السبب
هو عندي احب مكان تحت الشمس .
والان كلما هبت في قلبي اعاصير الحب والغرام احج الى هنا
الى هذه البقعة التي هي بيت مقدس حبي . فاتحيل حبيبي كأنه
جالس امامي فاتذكره واتذكر ماضي حبه واوقات لقائه فتتغشني
الذكرى .

في المرة الاولى لم احج وحدي الى لقائه في هذا المكان بل
اصطحبت صديقتي المخلصة هند التي كانت رفيقتي في المدرسة وامينة
سري كما كنت امينة سرها

في هذا المكان عرفت الحب وتعلمت الغيرة في الحب . لاني
شعرت بالاثنين معاً يعنان في قلبي .

كان حبيبي في تلك المقابلة يمازح احياناً رفيقتي ويخاطبها
بلطف وبشاشة فكنت اشعر بنار الغيرة تستعر في صدري كما
كما كنت اشعر بنار الحب تلتهم قلبي .

ان الصداقة المتينة التي كانت تربطني بها منذ الطفولة اخذت

تتلاشى سريعاً من قاي عند ما ابتدأت تلك الغيرة الطائشة
تظفر به .

ومجئي الحارقة لها اوشكت ثنقلب الى بغض اليم وحقد ذميم .
قللت في نفسي : يا ليتني لم اصطحب رفيقتي اذ يجب ان اتمتع
بجبيبي وحدي وهكذا كان

الحكيم - ان ما حدث لك من عوامل الحب والغيرة يحدث لأي كان
من العاشقين .

ان الحب والغيرة توأمان يولدان في القلب معاً ويموتان معاً

المقاء الثاني

سلى - وقبل غروب الشمس ودّعت فتاي وذهبت ورفيقتي الى
البيت ولا تسأل كيف قضيت ايام الاسبوع - لقد قضيتها وانا على
احر من الحجر منتظرة بفروغ صبر بزوغ شمس الخميس كي اجي
وحدي لألتقي بجبيبي الذي لم يرحني خياله لا في الليل ولا في
النهار

ولما حان الاوان اتيت الى هذا المكان قبل الموعد بقليل
واخذت اتمشي منتظرة قدوم هذا الفتى الذي لم اكن منذ قليل

اعرفه ولم احلم به قط . فاصبح ولا ادري كيف اصبحت في حين
 قصير احب الناس اليّ واعزهم عليّ قاي . بيد اني كنت قبل معرفته
 لا احس بمحبة تعادل محبتي لابي ولا بمحنين يوازي حنني لأمي .
 لمحتة عن بعد آتياً فمشيت على غير هدى الى لقائه مسيرة
 بقوة الحب الذي كان يدفعني اليه .

ولما اقتربت منه حيائي ثم امسك بيدي واتي بي الى جذع
 هذه الشجرة . فجلسنا ههنا واخذنا نتجاذب بكل صراحة وطأة نينة
 احاديث الحب ونظراته .

شعرت في تلك الساعة بلذة سنامية لم اشعر بمثلها في ماضي
 حياتي ولا اقدر ان اعبر لك عنها بلساني ويكفي ان ادلي اليك بان
 مخيلتي لم تتصور لذة تعادلها جمالاً ولم يرسم ذهني اوقع منها في
 النفس .

والان اذا جئت اروي على مسامعك بعض تلك الاحاديث التي
 كنا نتبادلها اثناء اجتماعنا والتي كانت تولد في نفسي هذه اللذة
 النادرة المثل لرأيتها كلها نافهة جداً لا قيمة معنوية لها لانها لم تكن
 لتزيد عليّ بضع كلمات متقطعة كان يرددها كل واحد منا على مسمع
 الاخر تكراراً وهذا مثال منها :

يا حبيبتى الجميلة - يا ملكي الحارس - احبك - اموت
 بحبك - الى آخر ما هنالك من الالفاظ المترادفة التي لا رواء لها
 ولا معنى .

ان هذه الاحاديث الساذجة لم تكن بالحقيقة لتنتج امثال
 هذه اللذة الفائقة لو لم يكن ما وراء الحديث ما هو اسمى من
 الحديث .

اجل كان الحب الرائع في جوانحي والممالك سعيداً في قلبي
 هو وحده يغمرني بتلك اللذة الخالصة .

الحكيم - لا انكر عليك ان لذة الحب هي امتع لذات الحياة واكثرها
 شعوراً واحساساً . لكن الحب ليس على لون واحد كما تعتقدون بل
 هو على ألوان متعددة .

اما انت فلم تتعرفى حتى الان إلا الى لون واحد من ألوانه .
 ولهذا السبب لم تتمتعى الا بلذة واحدة من ملذاته .

ان من يذوق لوناً واحداً من ألوان الحب لا يكون قد ذاق
 كل الحب .

ولا يخفك انه لم يزل هنالك من انواع المحبة ما هو اسمى

وامتع كثيراً مما عرفت وتذوقت . وسأشرح لك كل ذلك
بالتفصيل فيما بعد .

والان حان موعد رجوعي الى البيت فاستميتك عذراً
واودعك على امل اللقاء في الغد وارجو منك ان تعودني الى
منزلك مطمئنة واثقة ايضاً ان ساعة الفرج أصبحت قريبة منك
بإذن الله .

ذهب الحكيم ادراجہ وبقیت سلی وحدها في هذا المكان
الى ساعة متأخرة وهي نتأمل في كلامه عن الحب وعن الوان الحب
ثم اخذت تسأل نفسها بمرارة ولم قائلة : اذا كان لون واحد
من الوان الحب قد هدّ كياني وقضى على راحتي وهنائي فما ذا عسى
تكون حالتي لو تذوقت سائر الوانه .

اليوم الثالث

وحدة ومناجاة والم

في صباح اليوم الثالث لم يبرح الحكيم بيته لان الجو كان مكفهرًا وكان الطقس ممطرًا والبرد قارسًا .

اما سليل فلم تعباً برداءة الطقس واشتداد المطر والبرد وجاءت عند الفجر الى هذا المكان وجلست في ذات الموضع منتظرة قدوم الحكيم لتلقي على مسامعه ما تبقى من رواية غرامها وتبث له شكواها وانينها .

مضى بعض النهار ولم يزل الغيث منهمراً والغيوم متلبدة في الافق فقطعت سليل كل امل من مجيء الحكيم واشتد حزنها .
وكان السماء الدامعة اوحث اليها ان تذرف الدموع فاخذت تبكي بكاءً مرًا . ثم انطلقت تناجي خالقها قائلة :

يا الهي ! السماء تبكي بدموع الغمام وانا ابكي بدموعي فهل يعقب بكائي فرح نفسي كما يعقب بكاء السماء فرح الارض ؟
هل انا كثيرة الاثم لاستحق هذا النير الثقيل الذي وضعته الحياة على عاتقي ؟

يا يسوع ! انت حملت صليبك لاجل العالم وانا احمل صليبي
لاجل الحب .

انت كان الرجاء المالى قلبك يخفف عنك نير عذابك اما
انا فلا رجاء في قلبي بلطف نار يا سي .

انت جاءك الموت عاجلاً واراحك من حمل صليبك . اما انا
فالموت بعيد عني ولا ادري الى متى احمل صليبي .

ربي ! بماذا اخمد نار الحب المضطربة في احشائي ولا ارى
من حبيبي غير الجفاء !

والجفاء حطب يابس يزيد نار حبي اضطراباً .
بماذا اداوي كلومي ولا ارى بقري غير سهام الخيانة التي
نكأني من كل جانب فتزبدني جراحاً

ما ذا اعمل لارد كبشي الضائع الى حظيرة حبي !
قيل لي ان ذئبة بشرية استأثرت به . كيف اطلقه من يديها
وانزعه من براثنها ؟ وذئاب البشر هي اشرس من الذئاب .

اواه اين حبيبي ؟
اين كبشي الجميل ! كبشي الضائع
اربده لنفسه لا لسواي .

وما اتمت هذه الكلمات حتى وقعت على الارض مغشياً عليها
 وكأنَّ الطبيعة في تلك الساعة غضبت من جور الانسان على
 الانسان فاخذت تهرق وترعد ثم هبت عاصفة شديدة الهول ايقظت
 سلى من اغماؤها . فقامت مرتعشة مبلة وهولت مسرعة الى الخيمة
 التي نعرّفت بها الى الحكيم لتكون بما من من الزوابع .
 جلست في الخيمة قرب النافذة وكانت العواصف تزداد
 اندفاعاً والرياح الهوج تصفر من كل جانب .

ثم انقضت صاعقة على شجرة غضة جميلة فجندلتها فوقفت سلى
 نتأمل في مصير تلك الشجرة التي كانت منذ لحظة اجل اخواتها
 الاشجار النابتة في تلك الغابة .

ثم اخذت تناجي خالقها قائلة :

ربي ! ماذا جنت تلك الشجرة الجميلة حتى ابادتها الصاعقة
 من بين اخواتها !

ما هو جرمها ؟

هل كان فرط جمالها ونموها بعدان في نظر الحياة جرماً ؟
 فاذا كان الامر هكذا فيجب ان يقع الجرم على الطبيعة التي
 وهبتها النضارة والجمال لا عليها .

ربي ! انا وهذه الشجرة اختان يجمعني وايها جور الطبيعة
 وظلمها . فكما انها كانت زينة اخواتها الاشجار هكذا كنت
 في المدرسة بهجة رفيقاتي . وكما هدت الصاعقة كيائها قبل الاوان
 هكذا هدت صاعقة الحب كياني قبل اواني .
 ولكن بيني وبينها فرق واحد .

ان الصاعقة التي جندلتها قضت عليها فاراحتها . واما الصاعقة
 التي جندلتي فلم نقض علي بل خلعتني اخبط في دياجي ياسي والي .
 ربي ! ضاق صدري - فرج عني - ارحني من حياتي كما
 ارحت هذه الشجرة

ثم اخذت تبكي مستغيثة به تعالى كي يرحم ضعفها وينجيها
 من آلامها ويأسها . وكانت تشفق شهيقاً متواصلاً وعيناها
 تسحان الدموع الغزيرة التي كانت تسيل على خديها ثم تقع نقطة
 مبعثرة في ارض الخيمة .

وبعد حين اخذت النجوم المتلبدة في الافق تنقش فهدأت
 ثورة الزوابع وانحبس المطر . فلوت سلى راجعة الى بيتها والياس
 نحيم عليها والعبرات تشد بخناقها .

اليوم الرابع

ارق وهذيان

في تلك الليلة لم تذق سلى طعام الكرى فكانت احياناً تتخيل
حبيبها عائداً اليها يوائسها ويبادلها المحبة والهيام فتأنس حيناً بتلك
التخيلات الجميلة ثم لا تلبث ان تتمثل جفاءه وتعلقه بغيرها فيخبو
بريق املها وينقلب استئناسها الى حزن عميق ويأس قاتل
هكذا قضت سلى ليلتها تلك بين الارق واليأس ولما قرعت
الساعة الرابعة قامت ترتدي ثيابها ثم ذهبت الى مكان حبها تنتظر
قدوم الحكيم لعله يسكن ثورات نفسها بنصائحه وحكمه .
وصلت الى المكان المعهود قبل بزوغ الفجر وكان كل ما في
الطبيعة لا يزال ساكناً .

الطيور المتنوعة والحيوانات المختلفة والحشرات العديدة
كلها كانت نائمة مستريحة في مراقدها .
لم تسمع سلى غير تصعيداتها وحفيف اجنحة الهواء تلاعب
اغصان الاشجار وطمين بعض الهوام
وكانت السماء صافية والنجوم تتلألأ في القبة الزرقاء فتاتي

اشعتها الضئيلة على تلك الغابات الموحشة .
 هنالك اخذت سلمي تمشي ذهاباً واياباً وهي تبكي بكاءً مرّاً
 وتندب حظها بالمشديد . ثم نظرت الى السماء وصاحت بمل فيها :
 ربي ! هل الطيور تفضلني ؟ وحيوانات الطبيعة وحشراتنا
 احسن مني ؟

لماذا كلها الآن نائمة مستريحة ما عدا جسدي الذي لم يذق
 طعم النوم .

لماذا كلها ساكنة ما عدا نفسي الثائرة التي لا تعرف السكون .
 هبني الراحة كما وهبتها لغيري من خلائقك .
 لاح الفجر من وراء الشفق الازرق فابتدأت النجوم تنقلص
 من امامه مخفية وراء السدم كما يختفي الضعيف من وجه عدوه
 الجبار .

اجل ان الفجر هو الكتيبة الاولى التي تدفعها الشمس امامها
 ثم لا تلبث ان تعقبها بكتائب انوارها الساطعة التي لا قيل
 لجيوش النجوم على الوقوف امام تيارها .
 قامت العاصف ترزق متقلبة من غصن الى غصن ونهض
 كل ذي حياة يسرح في طلب قوته .

ثم برزت الشمس من وراء صنين والقت اشعتها الذهبية في كل مكان .

اما سلى فكان انوار الشمس الساطعة لم تنفذ الى خفايا قلبها ولا الى تلافيف لبها . فبقيت تخبط في ليل حزنها الدامس وهي تندب سوء حالها وتلعن الساعة التي ولدت بها .

ان الارق المتواصل والحزن العميق اللذين استوليا عليها في تلك الليلة انهكا قواها الجسدية والعقلية فاصابها ضرب من الهذيان والذهول الوقتي افقدها رشدها . فلم تشعر بالفجر ولا بانوار الشمس المضيئة امامها . ولم تنتبه الى زقزقة العصافير الشادية بقربها ولا الى يقظة الاحياء واستئناف الحركة والضوضاء في المعامل القرية .

وبينما هي مسترسلة في ذهولها وهذيانها اقبل الحكيم فوقف امامها وحيأها كعادته فحملت بعينها شاخصة به دون ان تثبس ببنت شفة .

فادرك انها في حالة غيبوبة عقلية . وقال في نفسه : مسكينة هذه الفتاة ان عينيها شاخصتان بي ولا ترياني لان عيني عقلها مغلقتان ومن لم ينظر بعين العقل لا ينظر بعين الجسد .

ثم اسرع الى صيدلية قريبة واخذ لها بعض المنعشات وظل
 بقرها يمدّها بعنايته والتفاته الى ان استفاقت وعاد اليها رشدها .
 فقدّمت له شكرها وامتنانها وعيناها مغرورقتان بالدموع .
 اما هو فاخذ بؤاسيها وبطيّب خاطرها باحاديثه ونكاته اللطيفة .

استئناف الحديث

القبلة الاولى

وبعد ان اخذت قسطها من الراحة اشار اليها الحكيم ان
 تعود الى سرد حديثها .

قالت : وتواعدنا انا وحيبي في الاجتماع الثاني ان نلتقي في
 هذا المكان مرتين كل اسبوع بدلاً من مرّة واحدة لانه صرّح
 لي بانه لا يستطيع ان يبقى اسبوعاً كاملاً دون ان يراني ويتمتع
 بحديثي .

فنزلت عند طلبه واخذنا نتلاقى كل احد وكل خميس في
 هذه الحديقة .

وكنا دائماً نجلس الى هذه الحجارة الملاصقة هذه الشجرة التي
 كانت اغصانها تظللنا من حر الصيف ومطر الشتاء .

والان فلو كان لهذه الحجارة ولاغصان هذه الشجرة لغة
كلغتنا والسنة نطق كالسنتنا لشهدت امامك كيف كان يظهر لي
محبتة وهيامه . وكيف كان يغمرني بمواعيده الخلابة التي لم ينجز
منها وعداً واحداً . لأنها كلها كانت عرقوبية كما كان غرامه
كله شهوانياً

في كل لقاء كان يزيد اقترابه مني . لقد اكتفى في اللقاء
الاول بمحادثتي . واخذ في اللقاء الثاني يمسك يدي ويلهو بتعداد
اصابعي كما يلهو الطفل الساذج باصابع امه .
وظف في اللقاءين الثالث والرابع يضع يمينه يدي ويسراه
على كتفي .

ثم حاول في اللقاء الخامس ان يقبل يدي فانتزعتها منه .
فاظهر انزعاجه ثم اقسم لي بان الحب الطاهر يدفعه الى ذلك وانه
يحبني ويحترمني ولا يريد بي سوءاً .

فعندئذ اسلمته يدي فقبلها مراراً ثم وضعها على خده فشعرت
في تلك الساعة بكهر باء الحب يهز عروقي هزاً ولكني مالبثت حتى
ظهر امامي خيال الفضيلة التي كانت توصيني دائماً بها امي فارعوبت
ثم تجالدت ونزعت يدي بلطف من امام وجهه .

وفي اللقاء السادس ولا نسل عن اللقاء السادس كان الفوز
والانتصار لحبيبي والانكسار والذل لي

جلسنا هنا وكان وجه حبيبي كالقدر . عيناه تشعان نوراً
وجالاً وخدها يفوقان الورد احمراراً وكان الدم يغلي في عروقه
وشهوة الحب بادية على شفثيه ومقلتيه وسائر ملامحه .

اجل هنا اخذ لسانه يترجم عن قلبه المفعم بشهوة الحب
والملتهب بناره .

هنا اقترب مني لا كما كان يقترب سابقاً بل كما يقترب الذئب
من الشاة . وبقوة غريبة ضمني الى صدره وحاول ان يقبّلني . فافلت
من بين يديه . لكنه ادر كني على بضع خطوات وامسك بيدي
فاخذت اوّنه على ما فعل .

فقال : لا تخافي يا حبيبتى ان القبلة التي وددت ان اطعمها
على جبينك هي عنوان المحبة الخالصة وعربون اتحادنا الدائم .

لا تخافي انا احبك وافدسك واغار عليك كما اغار على نفسي
لاني لست من اولئك المرائين في الحب ولا من المتاجرين بانتمالك
حرمة العذارى وثلم اعراض المحصنات .

بمثل هذه الاحاديث اخذ بطيب نفسي فصدقت كلامه
وارتميت في حضنه .

فطبع على خدي قبلته الاولى التي كانت فائحة قبلات متواصلة
وطوراً جديداً من اطوار الحب .

الحكيم - يبدو لي من خلال حديثك ان الحب الذي نشأ في قلبك
وقلب حبيبك كان في بدايته حباً عذرياً صرفاً ثم اخذ يتجه نحو
المادة حتى امسى في النهاية متحولاً بكليته اليها .

ولهذا السبب ارجو منك الان ان تسردي حديث غرامك
على علاقته دون ان تكتمني شيئاً منه .

ولا تخجلي في تبيان عثراتك الحبية فانا موضع ثقتك ومرشد
امين لكل ضال مثلك .

وفضلاً عن ذلك كوني على ثقة من ان عثرات الحب كثيرة
قلما ينجو منها العاشقون .

سلي - اعاهدك ايها الحكيم اني لا اكتم عنك شيئاً لهلك تواسيني بجميل
نصائحك وتغمد ثورة نفسي بسديد رأيك وكال حملك .
اجل ايها الحكيم كنا في اوائل حبنا نكتفي في ساعات

الوصال بتبادل الانسجامات الطاهرة والاحاديث العذبة الرصينة .
و كئنا نتلذذ ايضاً بالاحلام الجميلة والاماني الرائعة .

ثم اخذ حبيبي بعد ان ظفر مني بالقبلة الاولى يزداد في كل
وصال قحمة وجراًة ويتعامل عليّ تماملاً غير مألوف . وكنت
امانه ما استطيع واحاول صده . لكنه كان يغلبني على امري لان
قوة الحب كانت دائماً تذاني وتساعدني عليّ

فاصبحنا بعد حين كلما اتقينا نتبادل احاديث الحب الحر
والكلام الاباحي عوضاً عن تبادل تلك الاحاديث العذبة الرصينة
ونتلذذ بالمصاحفات والقبلات وما شا كلها بدلامن التلذذ بالاحلام
والاماني .

الحكيم — كل عاشق يبلغ به الهوى الى انتهاك حرمة الحب يكون بحكم
الطبع قد فقد اكرام نفسه واحترام حبيبته . فيمسي كالبيمة
التي لا قبل لها بمقاومة الغريزة وسائر النزعات الجنسية . فعندئذ
لا يبقى الحب في قلبه حياً بل يصبح شهوة فقط .

وهذا ما حدث لك ويحدث دائماً لكثير من العاشقين .

سلي — صدقت ايها الحكيم لان اموراً كثيرة جرت لنا بعدئذ وكانت
كلها ترمز الى الشهوة لا الى الحب .

فبعد انتهاء السنة الثانية على ولأنا اخذ حببي يتمادي في
انتهاك حرمة الحب تمادياً كلياً . فامسينا كلما التقينا في هذا المكان
نصرف الساعات الطويلة بالمداعبات المجونية .

فكان تارة يضمني الى صدره وبقباني قبلات حارة وطوراً
كان يلاعب شعري بكفتي يديه ثم ينام هنيئاً على ركبتي .
لم اجراً في بادي ، الامر ان اقبله ولا ان اضمه الى صدري فعاتبني
ناسباً انكاشي عنه الى عدم محبتي له .

مع اني كنت بالعكس اشعر ان قوة الحب هي وحدها التي
كانت تمنعني عن ضمه وتقيله .
ثم تجاسرت واخذت اضمه فيما بعد الى صدري واقبله كلما
قباني .

وبعد ان وصلنا الى هذا الحد قل " كلامنا ونضبت موارد
حديثنا .

فكأننا ابتليننا بخرس اللسان منذ ابتدأت الشفاء والايدي تعبر
عن شهوة الجنان .

لا مشاحة ان تقبيلي اياه زاده تجاسراً وتطاولاً علي .
فاخذ بعد قليل يمد يده الى صدري ثم الى ثديي اللذين لم

يمسهما بشر غيره منذ بروزهما وفتيح اكمامهما . فابتعدت عنه
مخدمة حنقا وغیظاً .

فقام للحال يستعطفني قائلاً :

لا تخافي يا حبيبتي انا لك وانت لي اعاهدك اني في اواخر
هذه السنة انال شهادة المحاماة واكون لك نعم القرين .
فزال اضطرابي نوعاً ثم جلست ازاءه باحتراس وحذر . فشعر
بذلك وغير حالاً مجرى كلامه معي .

ثم اخذ يتحدثني عن الموسيقى وما تفعله في القلب وكان يعلم
جيداً ان ولي بالموسيقى لا يفوقه الا ولي به .
ثم ذكر لي بعض روائع الالحان الافرنجية وكبار ملحنها
وبعض مقاطع الالحان العربية واسماء واضعها وسألني : اي الموسيقى
احب الى قلبك العربية ام الافرنجية ؟

فاجبته : لا احب الاثنتين فقط بل احب ايضاً موسيقى
الطيور وموسيقى الرياح والعواصف وموسيقى خرير المياه وصخب
الامواج .

كل ما في الكون يجلب حساً او طينناً او هينة او لحناً
يهزني ويطربني .

آه ما اجمل موسيقى الطبيعة وما احلاها عند من يتذوقها
وينتبه الى جمال الحانها ودقة نبراتها .

هكذا انتهت بيننا تلك المقابلة على سلام . واما المقابلة التي
تلتها فقد عاد فيها الى دأبه . فابتدأت يده تلمس صدري ثم تطاول
الى ثديي وكانت عيناه تكتحلان بعيني كما تكتحل عينا المنوم
المغناطيسي بعيني وسيطه .

...

ولما شعر بقوته وضعني ضمنى اليه وابتدأ يداعبني كأنني
العوبة بيديه .

ثم اخذ يقبلي بوجهي وثديي وفي كل مكان من جسمي .
وكان عواطفه الهائجة ايقظت عواطفني فانارتها ايضاً فامسيت
واياه كلما تصافحنا وتضامنا نزداد وهجاً وسعيراً كما يزداد الاتون
ضراماً كلما ازداد حطباً .

الحق اقول لك: لم يبق من ملمس لم يلمسه في الا ملمس العفاف
لقد نمت على حبه الا عن هذا الملمس . وكنت كلما بدرت منه بادرة
سوء ارغى وازبد كاللبوة الفاقدة اشبالها . فيرعوي ويعود الى
موانستي متظاهراً انه لا يريد انتهاكي .

معرفة والدي بفراحي

وفي ذات يوم بينما كنت وحيبي مختلين في هذا المكان مر
احد اصحاب والدي ورآني على هذه الحالة المريبة فانتهرني واسداني
بعض نصائحه . ثم جاء توّاً الى والدي واخبرها بذلك

ولما عدت الى البيت اخذتني امي على حدة وابتدأت تؤنّبني
بشدة قائلة : ان ابي مستاء كثيراً من سوء تصرفي وانه كان شاعراً
بفراحي منذ مدة طويلة . لكنه لم يفتحني بهذا الموضوع لشدة ثقته
بي واعتقاده بحسن تهديبي وفضائي . ثم اردفت قائلة :

اما الان فقد طفح الكيل بعد ان ظهرت منك امورٌ اخجل
من ذكرها ولم نكن ننتظرها منك .

فعليه لم يبق امامك الا العود الى حظيرة الفضيلة فهي
وحدها تؤوّل بك الى السعادة والطمأنينة وتجملك بما من من غضب
والديك وتحث الناس بذك .

واذا كتب لك الزواج في المستقبل فيجب ان تكوني من
فضليات النساء ادباً وخلقاً وعفافاً .

هذه هي خطة المرأة الفاضلة التي احتم عليك اتباعها .
واعيذك من عقبي الفجور .

فاجبتها معترفة بخطأي ثم طلبت منها ان تصفح عما بدر مني
ووعدها بالتوبة واصلاح نفسي .

ولما انست منها عطفاً اخذت اروي على مسامعها واقعة حبي
من اوله الى آخره . ثم صرحت امامها بشدة تعلقني بحبيبي وابنت
لها مفصلاً مقام عائلته الاجتماعي ومركزه الادبي والمادي وشدة
رغبته بالزواج بي . ولم ادع صفة من الصفات اللامعة الا لصقتها
به حتي جعلته امامها مثلاً أعلى من امثلة الكمال الانساني .

فاجابني ان عين الحب عمياء يا ابنتي ولكن اذا كان ذلك
الشاب حقيقة كما نقولين لا كما يصوره لك الحب فادعه الي زيارتنا
لتتعرف اليه . وانا اعدك بالمساعدة تجاه والدك . وثقي يا بنيتي ان
كل ما يرغب فيه ابوالك من هذه الحياة ينحصر براحتك وحسن
سمعتك ودوام سعادتك .

...

في اول فرصة سنحت لي اخبرت حبيبي عن كل ما جرى

لي في البيت وتوسلت اليه بالحاح ان يأتي لزيارتنا ويتعرف الى
والدي اللذين يرغبان بمشاهدته وان يطلبني منهما كما وعدني مراراً
فصمت لحظة ثم قال بانه لا يرى ذلك موافقاً الان قبل حصوله
على شهادة المحاماة .

فجئت واخبرت والدي بذلك فعندئذ نهتني عن مقابلته احتراماً
لنفسي وسمعتني الى ان يتسنى له ان يطلب بيدي .

وبعد حين عرف والداي انني لم ازل اجتمع به فوضعا في
تحت المراقبة الصارمة حتى اصبح كل من في البيت يلاحظني
ويحصى عليّ خطواتي وانفاسي .

فازددت من جراء تلك المراقبة الصارمة هياماً وشوقاً حتى
جننت بحبه وامسيت اختلس الفرص للملاقاته في الليل البهيم بعد
رقاد اهلي .

اجل لقد ضحيت بالكثير من اجل حبيبي وامتهنت نفسي
وكرامة عيالي وفقدت راحتي وطيب احدوثتي بسببه
وشد ما يؤلمني انني كنت كلما اعنت في حبه كان يمعن في
مراودتي . لان غايته في الحب لم تكن شريفة كغايتي .
وكم كنت اصدّة تارة بعنف وشدة وطوراً بلين وتؤدة

وكان في كلا الحالين لا يرتد عني ولا ينفك يلجّ لتنفيد
اربه مني .

واخيراً صرّحت له بانني لست مومساً لينتهك عرضي كلما
شاء . انا فتاة عذراء احبه واريد بهلاً لا خليلاً .

ولما ملّ من بلوغ مرامه علق غيري وجفاني .

لفظت سلمي عبارتها الاخيرة والغصة في مجرى كلامها
والدمعة في اجفانها . فعندئذ قال لها الحكيم :

حسناً فعلت واذك لتستحقين على ذلك اكليل الغار لا اكليل

الشقاء . فيجب ان تقرّي عيناً وتطبي نفسي لانك خرجت منتصرة
من هيجاء الحب لا منكسرة كما تعتقدين .

ومن كانت مثلك فهي نعم الفتاة وستكون ولا شك وهي

نعم الام ونعم المرأة الفاضلة

والان حان الظهر فاودّعك وغداً نلتقي هنا ونحدث طويلاً

ان شاء الله .

اليوم الخامس

الحكيم وحده يتأمل في الحب الذي لا تتألف فيه الاخلاق
ولا الصفات وبعدّه مرضاً من الامراض
الادبية المستعصية

ولما انبثق فجر اليوم الخامس جاء الحكيم مبكراً الى لقاء سلى
التي ادهشته بصفاء ذهنها وصلابة عودها واعجب بها كل الاعجاب
لأنها كانت تحب الفتى الاثيم حباً يقرب من العبادة . وفضلاً
عن ذلك قدرت ان تتخلص من احوال ائمه دون ان
تتمرّغ بها .

جلس الحكيم مدة ينتظرها ولما ابطأت قال في نفسه :
مسكينة هذه الفتاة لا ادري ماذا حل بها حتى تأخرت على غير
عادة عن قدومها .

انها لفتاة صادقة في ودها امينة في حبها كريمة في اخلاقها
وصفاتها .

انها الحرية بان تكون زوجاً لافضل الرجال لانها من فضايات
النساء

ولكنها لسوء الحظ هامت في حب شاب ديدنه اللوم
والتهتك . فهي من صميم فؤادها تريده بعلاً وهو لا يريد
الا خلية .

ان امثال هذه المحبة التي لا تتألف فيها الاخلاق ولا الصفات
تعد في نظري مرضاً ادبياً من امراض الحب .

وامراض البشر الادبية كثيرة الوقوع كالامراض المادية .
فكم فتى بعيد الهمة صادق الود نفتنه عاهرة متهتكة ونقص
صفو عيشه وتلعب بقلبه وهو مع كل ذلك يموت بحبها ولا يرضي
عنها بديلاً .

وكم فتاة طاهرة الذيل متوقدة الذهن تقع في اشراك خليع
لا يفهم من معاني الحب الا معنى التهتك . ولا يعرف الحق ولا
النزاهة ولا يشعر بالاخلاص ولا بالمحبة الصادقة وفضلاً عن ذلك
فهي تهيم به هياماً شديداً ونقدس اسمه كانه من افاضال الرجال
ما هذه الغشاوة الكثيفة التي تخفي النقائص البارزة عن
اعين المحبين ؟

هل الخير يهيم بالشر فيقرنان او الشر والخير اخوان فمهما
افترقا وتباعدا يعودان بقوة الاخوة ويتلاقيان

...

لماذا لا يتدارك العلماء والفلاسفة ورجال الاختصاص
الامراض الادبية الكثيرة التي نفتك بالمجتمع الانساني اكثر مما
نفتك به الامراض المادية ؟

لماذا لا ينشئون لكل علة من علل النفس مايجاء يلجأ اليه
المرضى لمداواة نفوسهم العليلة كما انشأ العالم المتمدن لكل علة من
علل الجسم المستشفيات والملاجيء وتخصص رجال الطب
لمكافحتها وابدانها ؟

فهل فات هؤلاء انهم لا ينالون امنيتهم الا عن طريق اباد
الامراض النفسية التي هي والحق يقال المصدر المسبب لمعظم جرائم
الامراض المادية الفتاكة .

...

ليست سبلى هذه الفتاة التاعسة في حبها احدى ضحايا تلك
الامراض النفسية القاتلة ؟

لقد احبت منذ بلوغها ثم نما الحب في قلبها فصار شغفاً وهياماً
ثم انقلب بعد جفاء حبيبها الى مرض نفسي جلب عليها اليأس
والتعس والاضطراب المتواصل . فوهنت قواها واعتل جسمها
وامست عرضة للسويداء وللأمراض العصبية القاتلة .

فكم وكم من امثالها في هذا الكون الذين لا يحصى عددهم
اوصلتهم امراضهم النفسانية التي عجزوا عن كبح جماحها الى
امراض مادية ارهقتهم واودت بحياتهم .

...

لقد خبرت الحب بنفسي في اوائل شبائي ومرضت بسببه
مرضاً ادبياً الى ما حتى بلغت روجي التراقي وكاد اليأس يودي بي
لولا قوة جسدي وصلابة عزمي ومثانة ارادتي وطول اناتي .
سأنجد سلمي بدواء خبرتي ومعارفي وسأضمد جراح نفسها
بيلسم تجاربي .

واني لوانق كل الثقة بشفائها التام . لان المحرب بنفسه هو
خير من الف طبيب

هكذا شغلت سلمي ذهنه طيلة صباح ذلك النهار ثم عاد الى
بيته وهو يفكر بها آملاً ان يلاقها في الغد ليزودها بارشاداته

اليوم السادس

سلمى نهي سرد قصتها والحكيم يتلو على مسامعها بعض تأملاته

في صباح اليوم السادس ذهب الحكيم مبكراً الى المكان الموعود
لعله يلتقي بسلي التي لم تجيء امس الى لقائه كعادتها .
ولما لم يرها هناك شغل باله وقلقت افكاره من قبلها لانها كانت
تبكر دائماً في مجيئها .

فخيل اليه انها فوجئت بنوبة عصبية ارهقتها وهدت قواها
فجزع جزعاً شديداً وقال في نفسه :
مسكينة هذه الفتاة اذا لم نتدارك بالحكمة والروية فانها ولا
شك تقضي ضحية جفاء حبيبها الاثيم .

وبينما هو في هذا التفكير اقبلت سلي فانشرح صدره للقائها
وبعد ان تبادلوا التحية سألها فوراً عن سبب عدم مجيئها البارحة
قالت : هممت بالمجيء صباح امس كعادتي لكنني لم اسر
بضع خطوات عن البيت حتى شاهدت حبيبي يتمشي برفقة احدى
فتيات الحي . ولما ابصرني اخذ على مسمعي يبتها شوقه وهيامه

كأن لم يكن بيننا سابق حب ولا سالف غرام .
 فلم اطق هذه الالهانة وجهاً لوجه ووددت ان اشته على اباحته
 وعدم وفائه . لكن تهذيبي حال دون ذلك فلم انبس بينت شفة .
 ومن شدة حنقي وغيظي اخذت انتفض انتفاض عصفور
 ثم ملكتني قشعريرة كأنها قشعريرة الموت . فوقعت على الارض
 بلا وعي ولا حراك . ولم استفق الا وانا على سريري . وبقيت
 طيلة امس مستلقية على فراشي وانا بين حية وميتة .
 هذا ما حدث لي البارحة ايها الحكيم وكثيراً ما يحدث لي
 مثل ذلك .

ولما سهر والداي غور نفسي ونظرا ما آل اليه جسمي من
 الضعف والهزال اخذا يزوداني كل يوم بنصائحهما الابوية . ثم
 تركاني وشأني اذهب للتنزه حيث اشاء وساعة اريد .
 وكم بسطالي نصيحهما برفق وحنان كي اقلع عن محبة هذا
 الشاب الخائن المحبة الذي لا يستحقني لتعود الي صحتي وطأ نيتي .
 لكنني حتى الان لم اقو على ذلك رغماً من انني شاهدته بنفسه
 مراراً عديدة يغازل بعض الفتيات ويتودد اليهن في الطرقات
 والجادات والحدائق العمومية وفي كل مكان يراهن .

انه لعمري زير نساء ينضح قلبه بالشهوة الجنسية لا بالحب
اني اعرف ذلك تمام المعرفة واشعر بكل مساوئه ونقائصه ولا
ادري لماذا احبه واموت بحبه .

. . .

ومنذ ايام قليلة التقيت به يتمشى وحده ذهاباً واياباً وهو
يتلف كالأص راحماً بناظريه الى نوافذ احد البيوت كأنه ينتظر
فريسة جديدة من فرائسه .

ولا ادري هل كانت تلك الفريسة الجديدة فتاة يافعة اوقعها
بشراك حبه او امرأة متزوجة اقتنصها بفخاخه .

فاقتربت منه ولم يرني وهزرت كتفه ولم يشعر بي لأنه كان
شاخصاً بكلية الى ما فوق .

فهمست باذنه قائلة :

اما أن لك ان ترعوي ؟

اما كفائك طيشاً وخلاعة ؟

انظر ما ذا فعلت بي ؟ لقد امسيت كما تراني واهنة العزم

خائرة القوة من جرأ صدك وجفائك .

تأمل ملياً بضعفي وهزالي امالك قلب يشعر وعين تنظر
وعقل يحكم !

لماذا تقابل المحبة بالنقمة والجميل بالاساءة والوفاء بالخيانة ؟
لماذا لا ترحم ضعفي وتشفق على تلك الحالة المؤسفة التي
اوصلتني اليها انت وحدك .

فاجابني : انت المخطئة يا سلمى لأنك انت التي اوسعتني شتماً
واهانة لمجرد امنية طبيعية رجوتها منك بكل حرية وصراحة .
لقد بيّنت لي مراراً انك لا تسلين بتلك الامنية الا عن
طريق الزواج الذي لا اقوى الان على عقده لاسباب قاهرة .
كيف تريدن ان اظل بقربك محترقاً وانت التي تثيرين نار
شهواتي وتبخلين عليّ باخمادها !

انت التي جعلتني انتطلع الى هنا وهناك وان اتحرى منها
غيرك من مناهل النساء لعلني ارى ما يبرد غليلي ويروي ظمأ
شبابي .

والشباب كثير الظمأ والحرارة لا يعيش بلا مورد يرويه
ولا مبردات تطفئه .

ولما سمعت منه ذلك تركته وقلبي يتفطر اسفاً وحزناً .
 اجل اني احبه حباً يقرب من العبادة ولكنني احب ايضاً
 صيانة عرضي والمحافظة على شرف اهلي وعيالي .
 ولهذا السبب سأقضي ولا شك ضحية هذين الحبين .

. . .

نهار امس جاءت لزيارتي احدى الفتيات التي كان حبيبي
 يتودد اليها ليقوعها في شرك حبه وكانت من رفيقاتي في المدرسة
 فاخبرتها عن غرامه الاثيم وكيف انه لا يجب الاً لقضاء لباته
 والا ستركها كما تركني شقية تاعسة . فلم تصدق كلامي ثم
 قالت لي :

اذا كان الامر هكذا فلماذا اذن تركضين وراءه وتبعينه
 من مكان الى مكان ؟

فهل انت شغوفة بائه ؟

فتلعثمت امامها لاني لا اقدر الا ان اتبعه واره ولو عن بعد .
 آه ما اشقائي وما اتعس حياتي ايها الحكيم .

الحكيم - لا تقنطي يا سلى من متاعب الحياة لأن الانسان لا يتعلم الا
 من المتاعب .

ولا تيأس من شقائك في الحب فرب شقاء قاد الى سعادة
ورب سعادة قادت الى شقاء .

...

ان هذه المتاعب الحبيبة التي تحدث لك الان حدث لي مثلها
بالامس وكنت احسبها جحيماً لفؤادي ولكنها سرعان ما اصبحت
نعيماً لنفسي لأنها هي التي وسعت مداركي وراحت ذهني وجعلتني
اقوى على احتمال مكاره الحياة ومجاهدة شوائدها

هكذا في الغد تنقلب هذه التجارب التي نتحملها الان بالمر
ومرارة وتصبح لك ولا شك بمثابة عدة نتقن بها صدمات الحياة
ونوائبها .

والان فلندع ذلك جانباً . وتعالى معي لتأمل في مخلوقات
هذا الكون الذي يفرح القلب ويبهز العقل والبصر

...

تأمل في هذه الطبيعة كيف تثير في الشتاء اشد الرياح
والعواصف ثم تبعث في الصيف الطف النسمات واعذب الهواء .
فهي تعلمنا الرقة والشدّة معاً . والاثنان لازمتان في الحياة .

تأمل في البحر كيف يلفظ كل آسن ولا يقبل في قلبه
قذارة ولا كدرة . فهو يعلمنا ايضاً ان نفعل قلوبنا من ادراكها
وان نطرح خارجاً كل ما يشيننا ويؤلمنا .

تأمل في الاعشاب الضعيفة كيف تبرز من بطن الارض
بقوة جدها وجلدها تتمتع بنور الحياة . فهي تعلمنا ان ننشد
العمل المتواصل ونحلى بالصبر لنحصل على رغائبنا

تأمل في الذبابة او بالاحرى في البعوضة الضئيلة كيف تقتحم
المخاطر انقضاء حياتها وانت تريد ان تتخلصي من حياتك افلست
افضل منها ؟

تأمل بها كيف تهاجمك غير هيابة رغماً من شدة ضعفها
وحقارتها وتلسعك لتعتاش من دمك . فهي تعلمنا ان نولد من
الضعف قوة وان نجابه شدائد الحياة غير هيابين ولا وجلين .

لا تخافي اذن من الضعف لان الضعفاء هم الذين يلقون على
الارض امثلة الشجاعة الصحيحة لا الاقوياء

ان الاسد الذي يمثل القوة بحذايرها فهو يبطش بالضعفاء
ويحاذر الاقوياء .

اما البعوضة الحفيرة التي تمثل الضعف المتناهي فهي لا تحاذر
اسداً ولا تخاف قوياً .

تأمل في النملة الصغيرة كيف تدأب ليل نهار جادة وراء
العمل لأجل حفظ كيانها . فهي تعلمنا ان نحافظ على كياننا
وان نجعل حياننا مليئة بالاعمال المحمودة لا باليأس والقنوط .

تأمل في الجداول الجارية وفي المصافير الممزقة وفي اغصان
الاشجار الراقصة في الهواء وفي الشمس المشرقة وفي السهول المنبسطة
والقمم العالية والودية العميقة — كلها جميلة رائعة تجب
الينا الحياة .

• • •

لا نقيدي ذهنك بقيود الغرام ولا تصرفي كل قواك بدائرة
ضيقة من دوائر الحياة .

اسرحي وامرحي في كل مكان . وتأمل في كل شيء يقع
طرفك عليه .

ان اصغر نبتة الى ادنى حشرة هي جدوة بان نتبصري بها
ونأمل في جمالها وسر كيانها .

فكم هي اذن خليفة بالتأمل وجديرة بالحب جميع
مخلوقات الله .

تألمي في النهر الجاري كيف يروي الحقول ويجعلها كثيرة
الحصب والنضارة . ثم تألمي قليلاً في النهر المحصور كيف ينفجر
ويدمر كل ما حوله من المروج ويجعلها قاعاً صافياً .

هكذا المحبة فهي كالنهر اذا انحصرت في ناحية واحدة تنفجر
وتدمر كيان الراحة البشرية وتدك معالم الرجاء والسعادة .

فيجب علينا اذن مهما بلغ فرط حبنا لوالدينا واخواننا
ومهما ازددنا هياماً باحبائنا ومهما شغفنا بازواجنا واولادنا ان لا نشغل
محبتهم كل افئدتنا واذهاننا بل يجب علينا ان نحفظ في داخل
وجداننا مركزاً هاماً لمحبة جميع الناس على اختلاف طبقاتهم
ومذاهبهم كما انه يجب ان يظل لدينا ايضاً مكاناً خاصاً لمحبة العلوم
والفنون والخلال الحميدة ومكاناً لمحبة هذه الارض واحيائها كافة
لانا كلنا اقرباء وشرقاء في هذه الحياة .

...

تألمي يا سلمي في كل ذلك وتعوّدي من الان فصاعداً ان

توزعي حبك في هذه الحياة توزيعاً نافعاً كما توزع الطبيعة حبها
وخيراتها على جميع انواعها . فعندئذ ننتصرين على اليأس وتحصلين
على السعادة .

هذا كل ما ارجوه منك الان وغداً نبتدئين ولا شك بان
تشعري يبرق الرجاء يسطع في حنايا قلبك وخلايا ذهنك .
فالى الغد يا سلى الى الغد .

اليوم السابع

سلمى نقص على الحكيم حديث حبيبها عن اهمية الزواج
الطبيعي وعدم اهمية الزواج الشرعي
والحكيم يتحفها بأرائه الناضجة

مرّت بضعة ايام لم ننظر سلمى في خلالها الحكيم مع انها كانت
تذهب كل يوم الى المكان المعهود ونفضي هناك معظم ساعات
الصباح دون ان تلتقي به .

فحارت في امره لعدم مجيئه واخذت في هذا اليوم تبحث عنه
وتسأل المارة واصحاب البيوت المجاورة لعلها تهدي اليه او على الاقل
الى منزله لأنها تود ان تفضي اليه بما حدث لها بعد وداعه وبما يجيش
في صدرها من الافكار والهواجس .

فلم نترك بيتاً في شارع السيوفي دون ان تطرق بابه وتسأل
عنه ولكن كيف تهدي اليه وهي لا تعرف له اسماً ولا كنية .
ولما خاب رجاؤها عادت الى حديقة السيوفي وجلست هناك
يائسة منسخة القلب لائمة نفسها لعدم معرفتها الى اسمه او الى منزله .

وكانت كلما تأملت في قصورها يشتد حزنها وتزداد نار يأسها
وهو اجسها اضطراماً . وليس لديها ما يحمدها غير دموعها . والدموع
مهما سحبت فهي لا تطفى نارا ولا تخمد سعيراً .

وبينما هي على هذه الحال اقبل الحكيم فابصرها على شجونها
فيها قائلاً :

اسعدك الله يا صديقتي ألسنت اليوم احسن حالاً .

سلى - لا أيها الحكيم لأنني كنت في خلال هذا الاسبوع بحاجة
قصوى الى نصائحك ولا اعلم لماذا بخلت عليّ بقدمك .

الحكيم - لقد ذهبت الى القرية البنانية التي انتي اليها ومكثت بها طيلة
ايام الاسبوع . لانني وددت ان اغسل نفسي من ادران المدينة
واتمتع بمراى الطبيعة الهادئة والحياة القروية الساذجة .

ما احسن الحياة يا سلى بين القرويين والطبيعة .

ما اجل عيشة الفلاح الذي يمشي بابقاره الى الحقل ويشق
الارض ويزرعها اشكالاً وانواعاً .

ما اهنأ حياة الرعاة الذين يستقبلون جرحهم في الحقول ويفتقلون
بمواشيهم من بطاح الى بطاح وهم يسبحون المبدع بشباباتهم واغانيتهم
الساذجة .

ما احسن حياة القرويات اللواتي يعملن في الحقل كما يشتغلن
في البيت ويعتنين في تربية اطفالهن كما يهتمن ايضاً في تربية
صغار حيواناتهن الداجنة .

ان هؤلاء القرويين يشعرون بسعادة الحياة اكثر من ابناء
المدن رغماً من فقرهم وشظف معيشتهم لأنهم بمعزل عن انقال
المدنية وكثرة مطالبها وبوثة مفسدها .

والان ما لنا ولهم حدثني عما جرى لك بعد فراقك لاني
اصبو الى نسم اخبارك وايجاد راحتك

سلى - في صباح اليوم الثاني بعد غيابك التقيت بحبيبي في هذا المكان
وجلسنا معاً حتى الظهيرة كما كنا نجاس في ايام الحب . وقد اظهر
لي شدة ندمه على جفائي وخيانتني معتذراً عن مساوئه الماضية معلناً
انه لا يعود اليها .

ثم طلب مني ان امتعه بنفسه مقسماً بأنه يكتفي بي ولا يعلق
غيري كل حياته .

ولما رأى انه يستحيل عليّ ان اسلمه نفسي بلا زواج شرعي
قال لي :

ما هي اهمية عقد الزواج الذي تريد ان تنقيد به ؟

ان عقد الزواج الصحيح هو ما تعقده الطبيعة على جميع احيائها
لا ما يعقده الكهان والقضاة ؟

فاذا كان يعوقنا الان ان نتم شرائع الزواج دينياً او مدنياً
فلماذا لا نتم شرائع الطبيعة .

تلك الشرائع الغريزية التي يوحى بها الوجدان وحفظ الكيان
لماذا لا يتزوج البشر كما تتزوج الاشجار ؟ ولماذا لا يتخالطون
كما تتخالط الاسماك في البحار والعجديات في القفار ؟

لماذا نحافظ على هذه الشرائع العقيمة التي وضعها الاقدمون
لعصورهم وبيئاتهم وهي لا تصلح اليوم لبيئتنا وروح عصرنا وتمدننا
فلنطرحها خارجاً ولنزاع عنا كل هذه التقاليد البالية والقيود
الباطلة التي هي عنوان ذلنا واستعبادنا

تعالى الىّ وضمي قلبك الى قلبي لتلذذ في هذه الحياة ويتمتع
الواحد منا بالآخر كما تتمتع جميع مخلوقات الله .
فوعده بالجواب في اواخر هذا الاسبوع

• • •

ومنذ يومين التقيت به فسألتني بالحاح عما عولت عليه .
فاجبته انني لم انته بعد من تمحيص طلبه . فقال :

سلي نزعات قلبك وعواطفك الملتببة فهن يجبنك على سوءالي
ولا ندعي ضميرك او دينك او عقلك كلها تحول دون رغبتك
ومناك لانهم وجدوا ليعدموا الجسم البشري لايكبلوه بالاغلال
والقيود .

ثم انصرف بعد ان طلب مني مجاوبته في اقرب فرصة .
ونهار البارحة جئت الى هذا المكان مؤملة ان القاك واسترشدك
بالامر . فصرفت يومي كله دون ان احظي بمقابلتك . ثم عدت
مساء الى البيت واخذت افكر وحدي في هذه المسألة المهمة مشغلة
ذهني في درسها وتمحيصها .

فلم ار لها حلاً الا بالتسليم او بالانتحار . ولا ادري الان
ما هو اجدى لي اأسلم بامنية حبيبي وابذ ظهرياً شرائع الناس
ونقاليدهم وعاداتهم ام انتحر فاتخلص من عذاب الحياة ومن اقليل
والقال .

الحكيم - اذا كان حبيبك يودّ ان يقطع عنك الاغلال والقيود فلماذا
اذن ترغبن ان تقيدي نفسك بها ؟
ليس التسليم لمشيئته وارادته قيلاً تضعينه على عنقك وهو
اشد فتكاً من قيود الشرائع والقوانين ؟

ليس الانتحار قيلاً ثانياً نفيد من به نفسك تجاه خالقها كما انك
نفيد من ايضاً جسدك بسلاسل الموت قبل اوانه ؟
الا تعلمين ان كل شيء لذيذ وجميل في هذه الحياة ولكن
التضحية اجمل منه ؟

. . .

فلنفترض جدلاً انك جازفت بجسدك ارضاءً لحبيبك فهل تثقين
به انه لا يتركك الى الموت ؟

وهل تقدمين على هذه المجازفة وانت ترتعين في حجر ابويك ؟
وماذا تعملين اذا وهبت اولاداً ؟ فهل تثقين ان حبيبك
يقرّ بهم ويعتني بتربيتهم ؟

او بالاحرى هل تقدمين على الاجهاض ونقطعين نسلك بيدك
نزولاً عند شهواتك وشهوات حبيبك ؟

وهذا مما لا اعطيه بك لانك من اصحاب الضمائر الحية
والوجدان الخالص .

وهل تعتقد من ان اولادك الذين يكونون بحكم الطبع اولاد
حبيبك الاثيم يشبّون على صحة المبادئ وكل الاخلاق ؟
فاذا كان الانسان قد ابتدأ منذ اجيال يهتم بتحسين نسل

الحيوان والنبات فكم هو حريّ اذن ان يحافظ على تحسين نسله ؟
 ولا تحسين الا بتناسل المتكافئين صحة وعقلاً وادباً وخلقاً .
 فهل هذا الرجل الخليع الذي لا يفكر الا بشهوات جسده
 خليق بان يكون اباً لاولادك ؟

اذن لا يجب عليك ان تحفلي كثيراً باللذة الطبيعية لأنها
 ليست جوهر الحياة بل عرضاً من اعراضها . اما ذلك الجوهر
 المنشود فيقوم في احياء النسل وفي المحافظة على تقدمه ورقيه .

...

كلنا يا صلي نشتهي النساء كما انكن نشتهن الرجال ولكن
 يجب علينا جميعاً ان نحول هذه الشهوات الجسدية غير المشروعة !
 الى شهوات روحية .

واذا لم نفعل ذلك فماذا يكون مصير العائلة البشرية في الغد ؟
 أتريدن ان نعود القهقري ونرجع الى العصر الحجري والحياة
 الوحشية القديمة ؟

والان بماذا يتميز البشر عن الحيوانات ؟
 اليس بمقدرتهم على كبج جماح شهواتهم ونزعاتهم غير المشروعة
 كل منا يا صلي يشتهي متمنيات جاره ولكن لا يحق له ان

يسلبه اياها بل عليه ان يجدد ويكده ليحصل على مثلها بعرق جبينه
 وكل منا ايضاً يشتهي ان يكون حاكماً منسلطاً على العباد ولكن
 افضل المشتميات واسماها ان يكون لدينا من الصفات ما يؤهلنا
 ان نتسلط على القلوب والعقول والضمائر لا على الرقاب .

• • •

لا تستسلمي الى حبيبك اليوم فتندمي في الغد .
 ضحي بهذه اللذة الوقتية لتحصلي على اللذة الدائمة .
 ودعي ثمرة الحب يمنحها الرجل الذي اوجدته الطبيعة ليكون
 بعك الامين ورفيقك الدائم .

انت لا تعلمين الآن من هو هذا الرجل ! انتظري قليلاً
 فتعلميه وستقرين عيناً باخلاقه وصفاته اللامعة .

• • •

انا لا ادعوك ولا ادعو احداً الى التبتل ولكن لا يجب ان
 نعطي الشهوات مداها بل علينا ان نرحل من هذه الحياة ونبقى
 شيئاً في الكأس دون ان نكرعه حتى الثمالة
 وهذا الشيء غير المشروب هو الامل المنشود الذي يرافقنا

الى القبر • او بالاحرى هو الحياة العذبة الباقية لنا بعد الموت •
 قد وعدتك مراراً بجديث غرامي وغداً ابرّ بوعدى لتعلمي
 جلياً انك قادرة ان تحصلي كما حصلت على الراحة والطمانينة وان
 نتمتع كما تمتعت بهناء الحياة ونقاوة الضمير •
 والآن اذا شئت ان نعرفي الى منزلي فتعالى معي اليه اذ ربما
 احوجتك الظروف الى زيارتي •

• • •

فشت سلى برقفته وتعرفت الى مسكنه ثم ودعته وذهبت
 في سبيلها •

اليوم الثامن

الحكيم يقص على سلمى موجز حديث غرامه

في صباح اليوم الثامن ابكر الحكيم في خروجه من البيت ولم
يسر بضع خطوات حتى التقي بسلمى على قارعة الطريق . فترافقا
الى حديقة معامل السيوفي . وهناك اخذ يقص على مسامعها موجز
حديث غرامه .

قال : كنت في الحادية والعشرين من عمري حينما
احببت حباً شديداً وكانت الفتاة التي شغفت بها تبلغ من العمر
خمس عشرة ربيعاً . وبقينا متواصلين ثلاث سنوات الى ان جرت
حوادث مهمة اقصتني عنها ولا لزوم ليرادها الان .

فصرت اختلس الفرصة تلو الفرصة لالتقي بها وابد غليلي
من ينبوع حبها .

ولما اشتدت علينا المراقبة وخسرت كل امل بمواجهتها اخذت
ابعث اليها بالرسالة تلو الرسالة وكانت تعجيني على كل منها مظهره

لي فرط هيامها وشدة تعلقها بي وما كانت تقاسيه من اجلي من
ظلم اهلها وسوء معاملتهم لها .

ولما رأى ابواها انه يستحيل عليهما اقناعها لقطع مواصلتها
لي لأنها لم تكن تعير التفاتاً الى نصائحهما المتكررة ولا الى تهديدهما
المتواصل او عزا الى كاهن اعترفها وطلبها منه ان يرشدها الى
طاعتها ويعظها بان رضى الوالدين من رضى الرب .

وفي ذات يوم استلمت منها رسالة لم يزل مضمونها عالقا
في ذاكرتي وهذا نصه :

لا اعلم ايها الحبيب اذا كنت لاتزال تذكرك الاب لوقا الذي
عرفتك اليه مرة في كنيسة القديس يوحنا وقلت لك عنه انه
مرشد اعترافي .

منذ شهر ابتداء هذا الاب المحترم يا تي يومياً الى زيارتنا وهو
يرشدني دائماً لأترك مواصلتك ويعظني بطاعة الوالدين
والرضوخ لارادتهما

فعندئذ اخبرته عن شدة تعلقى بك وانه يستحيل علي قطع
مواصلتك رغماً من فرط محبتي لوالدي لانك من الرجال الممتازين
بصفاتهم وآدابهم ومن اللامعين بنضوجهم العقلي وحسن اخلاقهم

ومما قاله لي : مهما كان اعتقادك عظيماً بأدب هذا الشاب
 وكمال عقله وأخلاقه فهل نتصورين انه فريد في هذا الكون ؟
 ألا يوجد من يشاكله ؟ او بالاحرى من هو افضل منه ؟
 فلماذا اذن لا تعلقين غيره فعندئذ يهون عليك تركه فتحصلين
 على رضى والدك وبركتهما .

فلما ان الحديد يقطع الحديد هكذا المحبة الجديدة تقطع
 من قلبك اوصال المحبة القديمة وتقذف بها خارجاً .
 ولكن عبثاً ايها الحبيب يحاول اقناعي ما زلت لا ارى سبباً
 موجباً لتركك .

...

هذا كل ما كتبته اليّ في هذا الموضوع .

وبعد خمسة اشهر اعادت اليّ بغتةً وبلا سبب موجب كل
 رسائلي وعلّقت على احداها هذه العبارة التي وقعت عليّ في ذلك
 الحين وقع الصاعقة .

لأ سباب مهمة ارجو ان لا تسألني عنها عزمًا ثابتاً ان
 اقطع مواصلتك نهائياً

اني مرجعة طيه كل رسائلك وارجوان تعيد اليّ حالاً
بصورة مضمونة جميع رسائلي .

السبت ٣٠ نيسان سنة ١٩١٦

وفور تلاوتي هذه الكلمات كنت في مخزني واقفاً بين المستخدمين
فتغيرت حالاً ملامحي من شدة التأثر وارتعشت كل مفاصلي واصطبغ
وجهي بالدم .

فذهبت نواً الى مكنتي وهناك شعرت بآلم مبرح وحزن
شديد . ثم اخذ الاصفرار والسكون ينتاباني الى ان امسيت
كأنني جثماً لا حياة فيه .

في تلك الساعة شعرت بتضعضع جسدي وشلل قواي ، اما
عقلي فبقي وحده غير متضعضع يشدد عزيمتي ويرشدني الى
الصراط القويم .

وطالما سمعته في مخنتي يهمس في داخلي قائلاً :

لماذا كل هذا الاسى وهذا القنوط ما زلت غير مرتكب جرم
يستحق هذه القطيعة .

...

و بعد مدة جمعت شتات قواي مستظهِراً على ضعفي ثم

ذهبت نوا الى منزل الحبيبة حاملاً رسائلها لاعيدها اليها بدأ بيد
ما عدا واحدة ابقيتها معي على سبيل الذكرى ولم تنزل حتى الآن
محفوفة في خزانتي .

وطئت عتبة البيت بلا اشعار سابق ودخلت مخدعها فوجدتها
جالسة ازاء طاولة مستديرة ترتي جواربها وبجانبها امها تحوك
قماشاً . فامتقع لونها حين رأتني داخلاً مضطرباً وخافت امها عليها
فهدأت روعهما ثم خاطبت الحبيبة قائلاً :
هذه رسائلك جئتك بها عملاً بمشيئتك لاعيدها اليك
لكني اود الان ان اتلو على مسامعك بعض نبذاتها :

فاخذت اقرأ عليها ما اقسمت له لي مراراً عن شدة وفائها وتعلقها
بي الى الموت وان لا قوة في الكون تقوى ان تصدها عني . ثم سألتها
كيف الان تكذبين نفسك وتبذنين مواصلي بلا اثم ولا حرج ؟
هل كان حبك لي كقسمك خداعاً ورياءً او ماذا ؟
فطفقت نبكي دون ان تنبس ببنت شفة .

وبينما هي مسترسلة في البكاء تناولت مبضعاً كان على طاولتها
وجرحت به يدي اليمنى جرحاً بليغاً لم يزل اثره ظاهراً واخذت
الطخ رسائلها بدمي واحدة واحدة قائلاً لها :

ان هذه اليد التي كتبت لك مئات الرسائل لم يزل بها
دم مخصك . وها هو الان لاصق برسائك بدل على امانتي
وعدم وفائك .

ولما وعت كلامي ورأت فيضان دمي اغني عليها . فادركتها
امها بالمنعشات فاستفاقت وكان الدم لا يزال سائلاً بفزارة من
يدي فاقتربت مني وطلبت ان تضمد جرحي فمدت لها يدي
فضمدها وهي تداعبني وتلاطفني كسابق عهدها .
فاجبتها : لا بأس هذه آخر مداعبة استقبلها منك وآخر
لطف يذكرني بك .

ثم ودعتها وخرجت من البيت تاركة لها رسائلها .
رجعت الى مخزني وكانت الشمس آذنت بالغروب فاقفلت
محلي وذهبت تواء الى غرفتي وبقيت اتمشى فيها حتى الفجر .
في تلك الليلة التي لم اعرف بها النوم كانت احلامي الضائعة
تستنزف كل ما في اجفائي من الدموع وافكاري المزعجة ترشقني
باحد سهم من سهام الهواجس والاضطراب . فتوترت اعصابي
واشتد خفقان قلبي واسرع نبضي حتى امسى كل ما في يريخف
ارتجافاً .

قضيت اسبوعاً كاملاً على هذه الحالة الرائعة لا انام في الليل
الا قليلاً وكان نومي الضئيل كسهري مزعجاً مقلقاً .

وفي خلال النهار كنت اترك مخزني في عهدة المستخدمين
واذهب وحدي الى البرية لعلني انفق صبراً وعزاء .

ولكنني في المساء كنت اعود بخفي حنين .

ولما عيل صبري على فراق الحبيبة عدت اليها استعطفها وانا
اشرق بدموعي وعلام الوهن والضعف بادية على ملاحي .

فقلت لي : لماذا كل هذا البكاء وهذا الوهن ؟ اين حزمك
وعزمك ؟

لماذا لا تدارك نفسك بقوة ارادتك التي نفل الحديد وتداوي
ضعفك بدواء حكمتك ومتانة خلقك ؟

فعندئذ يهون عليك تركي كما هان علي تركك .

الحق اقول لك الان : اني قطعت مواصلتك بقوة ارادتي فقط
ارضاء لابوي لا لخلوتي قلبي من محبتك فاني لم ازل احبك وسوف
ابقي الى الموت

فاجبتها : لا اعتقد مطلقاً ان سعيك لارضاء والديك ابعدك

عني لان العلاقة الحبيبة المتيينة المتأصلة في العروق هي دائماً فوق
محبة الابوين وارادتهما .

فماذا جرى لك اذن ؟ ومن غيرك عني ولواك عن محبتي ؟
فاذا كانت يد الهية . قد اقصتكَ عني فانا خاضع لمشئته الله
واذا كانت يد بشرية فر بما رضيت بي نفس لا يفتنها الجمال
ولا تعرفها الاباطيل .

اما جسدي المتضعضع المرتجف امامك الان والذي احبك
حتى العبادة صارقاً دمه ودمه في سبيل رضاك والمحافضة على حبك
الى الموت فهو لا يقبل لك عذراً ولا يرضي عنك ابداً .
ثم ودعتها وانا على اخر من الجمر وعدت الى غرفتي يائساً لا امل
لي بها ولا بالسلو على فراقها

...

قضيت عدة ايام تائهاً من مكان الى مكان غير ملتفت الى
تجارتني ولا الى ضياع مالي مهملاً نفسي كل الاهمال لاني بت
اشعر بان حياتي ومالي لم يبق لهما ادنى قيمة في نظري

و كنت على مرور الايام بدلاً من ان اجد راحة وسلواناً
ازداد وجداً وانيناً كما ازداد شوقاً وحنيناً .

فعولت ان اعود اليها ثانية لاشرح لها مفصلاً دقائق حالتي
وتباريح وجدي .

فقصدتها ودخلت مخدعها بدون استئذان فوجدتها مستلقية
على فراشها تشكو صداعاً . وحينما اخبرتها بحالتي قالت : بالله عليك
لا تزدني هماً والمأ ولا تحملي فوق وسعي ؟

احمل نصيبك ودعني احمل نصيبي
اذهب بسبيلك وانشد راحتك بنفسك ودعني الان انشد
راحتي بنفسي .

ولما سمعت هذه الكلمات شعرت كان سخائم الوجود كلها وقعت
عليّ فتركتها دامعاً وقلبي يتفتت اسيّ دون ان انطق بكلمة واحدة

وبعد اسبوع ضاقت الدنيا على رحبها بوجهي مع اني اجهدت
نفسي كثيراً لاحتمل فراقها بصبر فلم اطق صبراً .

فغزمت ان اعود الى مكاتبتها وبعثت اليها بكتاب مسهب
اشكو سوء حالتي .

وهذه بعض فقراته :

حبيبتي :

زرتك منذ اسبوع فوجدتك متوعكة قليلاً عسى ان تكوني اليوم على تمام الصحة .

والان ابعث اليك بهذه العجالة لاسألك عن قولك الاخير لي : « اذهب غني وفتش على راحتك بنفسك » هل كان ذلك تسرعاً منك وثورة نفسية عارضة بسبب مرضك او انت ماضية في مقاطعتي ابداً ؟

ارجو منك جواباً عاجلاً وعذراً على لجأتي . لان الحاجة تولد دائماً في القلوب المضطربة الحاملة اثقال مكاره الحياة واشدها ايلاًماً .

الحق اقول لك الان : انني ما زلت منذ فراقك لا اعرف راحة الا راحة ضميري . فقد قمت بواجبات حبك خير قيام . ان الصعوبات الكثيرة التي طرأت علينا لم تكن لتزبدني الا نعلقاً بك وتضحية وحباً لشخصك الكريم .

لقد تحققت مراراً صحة امانتي وشدة وفائي وكيف انني كنت في اخرج الحالات لا اشكو في سبيل حبك عذاباً ولا نعباً . والان يبدو لي ان ذلك الحب الذي كان يجمع بين قلوبنا

وبملاهما حياةً واملاً أو شك ان يحتضر في فؤادك

لقد امسى كالوردة الذابلة واوراقها نصيبك واشواكها نصيبي
انا قانع بحظي واهون عليّ ان اكون من المحروحين لا من
الجارحين .

حببتي : لا يدُر في خلدك ابدأ انني من اولئك المستعدين
الذين يحملون في صدورهم نفساً دنيئةً وقلباً اثماً .

انا والحمد لله احمل قلباً لا انكر عليك شدة خفقانه وجداً من
جراه صدك وجفاءك لكنه لم يزل مغموراً بالشرف والتبلى .

واملك نفساً لا يسعني ايضاً ان انكر عليك انسحاقها ورزوحها
تحت اثقال اليأس والهواجس لكنّها لا تعرف ثأراً ولا خداعاً .
يا ليت لي الان جسداً مركباً من حديد وخشب كيلا اشعر
بوطأة فراقك . لكنني لسوء الحظ مركب بشري خاضع لسلطة
الاحساس والعواطف .

على ان هنالك فكرة واحدة تسليني نوعاً وهي : لا حياة بلا
حب ومنتهى كل حب مأساة فلا بدع اذا امست حياتي مأساة
حببتي : اذا لم اجد راحة في هذه الحياة وقضي عليّ في شرخ

شبابي . فانا واثق بان نفسي تستريح في سماء الخلود كما يستريح
جسدي في احضان الارض .

واذا احتملت بصبر الم فراقك وعشت طويلاً فعندئذ اصل
بحكم الطبع الى طور الكهولة . هذا الطور الذي يزدان بالحكمة
والاختبار ولا يغتر الا بالحقيقة الناصعة . بيد ان الشباب لا يتخلى
الا بالجمال الطبيعي ولا يلهو الا بالزخارف الباطلة .

حييتي : انت الان في زيعان صباك فيجب عليك ان
تفكري جيداً في مستقبلك وان لا تعلقى احداً قبل درس واختبار
لانه من الصعب ان يحل الجفاء موضع الحب .

اسأل لك من صميم الفؤاد حياة سعيدة وزوجاً فاضلاً
اميناً .

اما انا فلا اعلم ما قد يطرأ عليّ . واذا استطعت ان اتخلص
من تجارتي فسأشتغل ظيلة عمري في الادب لعلي انعش نفسي
الذابلة .

غداً اذهب الى المدينة التي رأيتك فيها لأول مرة . وهناك
ازور البيت الذي ثلقت فيه منك الابتسامة الاولى .
ثم اعود الى هذه الحاضرة واذهب حالاً اليك وادخل غرفتك

التي اسمعتني فيها كلام الحفاء وبلغتني حكم المصارمة وهناك
أودّعك الوداع الأخير .

...

هذا آخر ما خطته أنا ملي إليها
والآن اطلت عليك الحديث يا سلمي حتى فات الظهر وتأخرت
عن موعد رجوعك إلى البيت فاستميتك عذراً وأرجو منك أن
تذهبي في سبيلك وغداً أتم لك قصتي .
سلمي — أنا مرتاحة كل الارتياح إلى حديثك وكنت أود أن لا تقطعه
عني لأرى كيف وجدت راحة وسلواناً بعد هذا اليأس وهذا
العناء . ولكن لا بأس فإلى الغد إن شاء الله .

اليوم التاسع

الحكيم يخبر سلمى عن شدة عذابه ويأسه
بعد جفاء حبيبته له

قضت سلمى ليل ذلك اليوم وهي تفكر في قصة الحكيم . وكم
تمنت لو يقدر لها ان تعلم حالاً كيف حصل على راحته بعد هذا
اليأس القاتل .

وقبل انبثاق الفجر جاءت الى منزله تستشيرهُ فوجدته لا
يزال نائماً . وطفقت نتمشى في حديقته منتظرة بذهاب الصبر
ساعة قيامه .

وبعد حين استيقظ الحكيم وفتح النافذة على عادته فوجد
فتاة نتمشى في حديقته . ولما عرفها اومأ لها بالدخول الى البيت
ثم ارتدى ثيابه واتي اليها فصالحها ودعاها الى طعام الصباح وبعد
ان اكلا مشيا الى مكان نزهتهما .

فسأته سلمى : وماذا حدث لك بعد تلك الرسالة ؟
فاجابها الحكيم : عند وصولنا اسرد لك ما بقي من قصتي

واعدك بأنني لا اعود الى البيت قبل انهاءها .
والان كيف حالك ؟ هل حصلت على بعض الراحة او
لا تزالين على قنوطك ويأسك ؟

سلى - لا ازال على حالتي ايها الحكيم غير اني لا اخفي عليك ان
قصتك حملتني على التفكير بانني لست وحدي مظلومة في هذا
الكون . فكثيرون هم الذين يقاسون الجور والشقاء نظيري
اجل لم اجد حتى الان راحة ولا صبراً بل وجدت نوعاً من
التعزية الباطنية .

الحكيم - هذه طبيعة البشر يا سلى فحينما يري المرء احزان غيره تهون
عليه احزانه وكلما لمس غبطتهم وهناءهم يتجسم خطبه عليه ويزداد
وحشة ويأساً .

لقد خبرت ذلك بنفسي لأنني كنت بعد جفاء الحبيبة اقامي
الامرئين كلما وقع نظري على متعابين يتمشيان معاً ومنيما الغبطة
والحب على وجه كل منهما . وكنت في تلك الايام الحرجة
اتعزي نوعاً كلما حادثت يائساً او حزينا .

...

بمثل هذه الاحاديث كانا يتحاوران على الطريق . ولما وصلا

الى حديقة السيوفي ذكرته سلى بوعده فأخذ يقص عليها ما بقي من
رواية حبه قال :

وبعد مرور شهر على تلك الرسالة عيل صبري لعدم مجاوبتها
فعدت اليها مستفسراً سائلاً :

هل استحق جواباً على كتابي ؟

فقلت : انت تستحق كل خير ولكن اعذرني الان لعدم مجاوبتي
على خطابك لأنني اقفلت هذا الباب منذ زمن ولا سبيل الى فتحه
ثانية .

فاجبتها : اذن ارجعي الي رسالتي وعلى الله انكالي .

فقامت للحال وفتحت خزانة ثيابها واثنتي برسائي الاخيرة
فوضعتها في جيبى ثم خاطبتها بهدوء ومكينة لا اعلم حقاً من
اين حصلت عليهما في تلك الساعة لأن اعصابي كلها كانت متوترة:
يلوح لي انني خسرت كل امل ورجاء . والان قبل ان اودعك
الوداع الاخير اود ان اسمعك هذه القصة الوجيزة ؟

منذ ثلاث سنوات ادركت احدى الفتيات سن البلوغ فقامت
نفتش على حظها وعثرت في اول طريقها على جوهرة ثمينة فوفقت
امامها معجبة بجمالها ثم اخذت بعد حين تتسائل هل تقبلها كحظ

لها او تظل سائرة في طريقها لعلها تصادف ما هو اعظم منها .
وبعد تأمل طويل صممت على تركها ومواصلة طريقها .
فشت لكنها لم تسر قليلاً حتى عثرت على جوهرة ثانية اقل حجماً
ورواء من الجوهرة الاولى . فلم تعرها التفاتاً وظلت ماشية فوجدت
غيرها وهي اصغر منها واقل قيمة .

وهكذا ظلت تمشي الى ان بلغت غاية الطريق فوجدت
هنالك جوهرة صغيرة الحجم لا رونق لها ولا بهاء . فتذكرت
جواهرتها الاولى وبكت بكاءً مرّاً على تركها . ثم رجعت مسرعة
لنشدّها رغم شدة تعبها . ووصلت الى مكانها واخذت نفتش عليها
فلم تجدها . لأن يداً جاءت بعدها فتناولتها .

ولما اتمت هذه القصة وهممت بوداعها قالت :

ما ذا تعني بذلك ؟

فاجبتها انت تعلمين مغزاي بيد اني وأيم الحق اتمنى من صميم
القولاد ان تعثري على جوهرة اشد نقاوة واغلى قيمة من تلك التي
نبذتها . ولكن اذا كان ذلك من المحال فاقبلي ما يتيسر لك
واحذري ان تفكري بالعود الى جوهرك الاولى .

ثم ودعتها ومضيت في سبيلي .

في تلك الليلة سعيته جهدي كي احتمل لوعة فراقها فلم استطع .
وعولت على ترك المدينة لأبتعد عنها لعل البعاد يخمد نار حزني
ويأسي .

فسافرت في قطار الصباح الى الارياف وتركت ادارة محلي
في عهدة المستخدمين اذ لم يعد يهمني في ذلك الحين ان اربح
او اخسر .

القيت عصا الترحال في بلدة جميلة واقعة على شاطئ البحر
ونزلت في احد فنادقها القائم على الضفة الشمالية حيث كانت
الامواج تلاطم جدرانها ليل نهار .

وكم وقفت على تلك الضفة حزينا متسائلاً :

كما ان امواج البحر تقتحم بلا انقطاع جدار هذا الفندق
هكذا امواج بحار الاسي تقتحم جدار نفسي .

ان امواج الفندق ترجع خاسرة لا تؤثر فيه لصعوبة بنيانه
ومتانة اساسه . اما امواج ياسي فلا اعلم ما اذا كنت احتمل
هجماتها المتواصلة او تهوي بهيكلتي الى الحضيض

كنت كل صباح اجلس هنالك وحدي حتى الظهيرة وكانت

قطرات دموعي تنزج بماء البحر فتضيع في تياره كما ضاعت راحتي
في تيار الحب .

و كنت في ذلك الحين ازداد لوعة كلما تخيلت جيبتي التي
كنت احسبها قطعة غير منفصلة عن نفسي امست لا تشعر
بجبي ولا بألمي كما لا يشعر هذا البحر العظيم بدموعي

وبعد الظهر كنت اذهب الى البرية القريبة وامشي وحدي
تائهاً في الحقول . وهناك كان يتراءى لي ان كل ما في الطبيعة
افضل مني حتى احقر النبات وادنى الحشرات . لأنني كنت
اتخيلها كلها طليقة من قيود الاسى ما عدا نفسي الراضحة تحت
اثقالها .

وفي ذات يوم ذهبت باكراً الى الحقل فابصرت العصافير
تزقزق متنقلة من غصن الى غصن وكان ذهني حينذاك هائجاً
ينتقل من فكر الى فكر .

فقلت في نفسي : يا ليتني مثل هذه الاطيوار الصغيرة التي
تنتقل على الافنان مبهجة في الحياة لا كما ينتقل ذهني مكرهاً من
خاطرة مؤلمة الى اخرى اشد منها ايلاًماً .

وقد نظمت قصيدة في هذا المعنى لا تزال بعض ابياتها عالقة
بذهني وهما هي على علاتها .

يا ليتني طائرٌ يشدو على الشجر
لكي اناجي نسيم الصبح في السحر
اطير فوق الربى والزهر متمشٍ
على الغصون فأجني اطيب الزهر

.....

ومنها:

لو كنت طيراً أقضيت العمر مبتهجاً
فالطير يحيا بلا هم ولا ضجر
امشي على الارض ذاهم اخا جزع
والطير من شجر يمشي الى شجر
ان طار فوق اديم الارض مرتفعاً
في الجو حطقت في جوٍّ من الفكر
وانظم الشعر في التحنان مبتكراً
والطير يالف لنا غير مبتكر

واعشق الغادة الحسناء انشدها
 والطير ينشد غصناً يانع الزهر
 كم همت في الغاب ادعوها وارقبها
 ولم ازل هائماً في المهمة القفر
 ومنها :

ان كانت النفس للرحمان عابدة
 فالعين معبودها ما راق للنظر
 ان الجمال اله القلب احسبه
 عبادة القلب موحاة من البصر
 وهاجني الوجد اليها يوماً فنظمت قصيدة هذه بعض
 ابياتها :

يا ربة اللطف والآداب لا تسلي
 ما حال صب بنار الحب مشتعل
 اذابه الوجد شوقاً والبعاد اسى
 ما عاد لي املٌ بالوصل يا ألمي
 ولست اشكو رقيباً عنك ابعدني
 ولست مسترسلاً في اللوم والعذل

هي البوارح تأتي لا مرد لها
فتذبل الحب في ساعاته الاول
وهي الطوارئ كم حأت على بشر
وهي التقادير كم جارت على دول
مثل الزوابع ان هبت على شجر
تحوّل الفصف من غض الى ذبل

.....

وحدي اقاسي تباريح الهوى فانا
اليف هم عن الاوطان في عزل
فان مرضت وطال الداء في جسدي
لا ام تنظر في دائي وفي علي
النفس بعد النوى في الجسم قد سئمت
والارض في رحبها ضاقت على رجل

.....

صرفت شهراً كاملاً في تلك المدينة التي لم اجد بها اقل راحة
لنفسي لا في نظم الشعر ولا في ارتياد البحر ولا في مسالك القفر
فصممت على العودة الى محل اقامتي . وحين وصولي ذهبت

نوأ الى منزل الحبيبة . لاني لم اعد قادراً ان املك نفسي الظامنة
الى مرآها .

فقابلني بفنور وقلة اكتراث كأن لم يكن بيننا سابق عهد
ولا مالف غرام .

وجاشت نفسي فخطبتها بلهجة حازمة قائلاً :

لماذا كل هذا التعتت والكبرياء ؟

ألا تعلمين ان الدنيا ملؤها فتيات من نظائرك وفتيات افضل
منك ! وكما مررت بشارع النقي بعشرات منهن .

اذا حافظت على حبك فذلك يدل على حسن شيمتي ومتانة
خلقي . ولهذا السبب ترين محبتي لك ثابتة كالجبال .

أما انت فما كنت اخالك تكفرين بعهدك وتعشين بحبك
فاجابتنني بمخشونة : كفاك غلاظة

وما وقع جوابها علي حتى وقفت هنيئة صامتة ثم تحوكت
شفتاي قليلاً وخرجت مني هذه الكلمات التي كان صوتي الضعيف
يلقيها همساً في اذنها :

بمعز علي كثيراً ان اري نعتي اللطيفة تتحول الى ذبّة خاطفة

ولكن لا بأس فهذه امثولة اتلقاها منك ولا انساها وهي :

ان المرأة نعيمة اذا احبت وذئبة اذا ابغضت

فهتُ بذلك وعدت الى صمتي جامداً مكاني جمود الموتى .
وكانت حبيتي واقفة على بضع خطوات مني محدقة في الارض
دون ان تبدي كلاماً ولا حراكاً

قضيت بضع دقائق على تلك الحالة لا ادري احى انا ام ميت
ثم عادت اليّ يقظة الحياة فاخذت اكلمها بصوت ضعيف
متقطع يشبه لهاث المحتضرين

وكانت نبراته بعيدة الغور كأنها ليست خارجة من هيكلي بل
من روح خفية في هذا الهيكل

وبقوة هذه الروح خاطبتها مستشهداً بايات زهير :

وعين نتمنى ان تر اكم قد غضضناها

ورجل نطلب المس معي اليكم قد منعناها

اقسم لك انا الخائر القوى الواقف مرتجفاً امامك الان انني
اتمنى اذا كانت عيناى لا يبهرهما في هذا الكون الاجمالك ولا
يشبههما الا مراك ان نفقدا نورهما الى الابد

واذا كان ذهني لا يفكر الا بك ولا يرغب الا في لقاءك
فاتمنى ايضاً ان اصاب به ولا اعود اليك .

واذا كانت رجلاي لا تتحولان عن طريق بيتك فاولى بي
ان اكون مقعداً كسيحاً .

واذا كان جسدي هذا لا تلذ له الحياة الا بقربك فاوثر
الموت على الحياة ولا استعطف فتاة مثلك تراني ثقيلاً .

الحق اقول لك انني لن ازعجك ولا ادخل بيتك ولا اجتمع
بك تحت سقف .

وثقي انني انتحر ولا احث يميني .

انا ذاهب عنك الى الابد .

انا ذاهب الى الحياة ، الى الموت .

وخرجت من لديها لا ألوي على شيء . وسرت في الشارع
المزدحم بالناس كالسائر في التيه . لم امثل امامي غير تلال متراكمة
من رمال اليأس والاسى .

ولهذا السبب كنت وانا اقطع تلك الجادة اتخيل نفمي كالسافر
في الصحراء بين سافيات الرياح .

فكما انه لا يرى امامه غير كشبان الرمال تتصاعد في الجو

ونقذف به يمينا وشمالاً . وكيفما اتجه لا يرى ملجأً يلجأ اليه ولا مكاناً يسند اليه رأسه . أفلا يتخيل الهلاك اقرب اليه من النجاة ؟
 هكذا كانت عواصف افكارى في تلك الساعة نقذف
 حواسي الخمس بمجامات سحومها وتحرق فؤادي بهزيم صواعقها
 وعودها حتى امسيت موقناً بانني على شفير الموت .

...

قضيت شهراً ويزيد لا اعرف الراحة ولا النوم . وكنت
 افتش على راحتي الضائقة في كل مكان دون ان اعثر عليها .
 تفقدتها كثيراً في البراري والحقول وبحيث عنها طويلاً في
 شوارع المدينة ومراسحها وخاناتها وملاهيها فلم اجد لها .
 وكم قصدت بائعات اللذة منتقياً عنها فلم اشعر بلذة اوسلوان
 لقد ضلّت راحتي وعيشتا كنت انشد ضالتي .

...

وفي صباح احد الايام عادني صديق حميم من طلاب الطب
 وبعد ان قضى ردحاً معي قال لي :
 دنت ساعة علم التشريح ثم هم بوداعي . فأجبته : هل من مانع
 يمنع ان اذهب معك ؟

قال : لا . فراقته الى المدرسة . ودخلت انا واياه بهواً كبيراً متسعاً مخصصاً لعلم التشريح يحوي ما يزيد على ثلاثين طاولة من الرخام شاهدت على اكثرها جثثاً بشرية عارية مختلفة الاعمار .

فاخذت اطوف بين الجثث متأثراً مرتعشاً . اما صديقي فلم يعبأ بذلك وكذا رفاقه الطلاب لانهم ألفوا هذا المشهد الذي رأيته مزعجاً مرعباً حالة كونهم لا يرونه الا عادياً كسائر المشاهد .

فقلت في نفسي : اذا كان هؤلاء الطلاب غدوا بقوة الاستمرار يألفون الجثث والامراض الخبيثة دون ما رهبة ولا جزع ! فلماذا اذن لا اعتاد ان اعيش بمعزل عن الحبيبة دون ما الم ولا كدر ؟

ولماذا لا آلف اليوم صدها وجفائها كما الفت بالامس حبها ولقاءها ؟

ثم أجلت نظري فيما حولي فوجدت كل طالب واقفاً امام جثة ويده آلة من آلات التشريح يشتغل بها برغبة ونشاط . وازاء كل جثة آنية لوضع القطع البشرية التي لا لزوم لها او بالاحرى تلك التي فرغوا من درسها وتمحيصها .

فوقفت لحظة امام كل منهم متأملاً عناءهم ونشاطهم .
ثم حولت نظري الى صديقي فوجدته منغمساً بتشرحيح رأس
شاب مات في ريعان صباه .

فوقفت بجانبه طويلاً انفرس في عمله متأملاً في هذا الجثمان
الذي كان بالامس ممتلئاً نشاطاً وشباباً كيف قهره الموت وجعله
بين ايدي الطلاب كألعوبة بين ايدي الاطفال .

وكما يدقق الطفل في درس العو بته ويفكك حلقاتها وبراغيها
ليعلم ما فيها هكذا كان صديقي يحول ببضعه مفتشاً على اعصاب
تلك الجمجمة وخلاياها ممعناً كل الامعان بدقة تركيبها .

وبعد ان اشبعها درساً وتمحيصاً قال لي :

انظر يا صديقي واثار الى اعصاب الاذن والعين .

هذه آلة السمع وهذه آلة النظر تأمل ملياً بهما ترى عجباً في
دقة صنعهما .

ثم اشار الى الدماغ قائلاً : وهذه ايضاً آلة صغيرة لكنها
مدهشة لأنها تولد في معملها المؤلف من هذه التلافيف والخلايا
القوى الذهنية التي تسير الانسان حسب مشيئتها وارادتها

فتأملت كثيراً في دقة تركيب آلة العقل فرأيتها تحير العقل
ثم سألتها عما اذا كان يعرف صاحب الجثمان : قال نعم : هو
شاب كان يشتغل في المستشفى واودت بحياته فوبة قلبية منذ
ثلاثة ايام .

فسألتها ان يهيني حجمته بعد انجاز تشريحها فوعدني بها .

...

وفي مساء ذلك اليوم قضيت ليلتي بكاملها وانا اتمشي في غرفتي
مفكراً بجالتي التاسعة متأملاً في تلك الجثث الباردة التي لم تشعر
بوخز الطلاب الذين كانوا يشرحونها بمباضعهم الحادة .

فقلت في نفسي : كما ان الموت هو الذي اراح تلك الجثث من
شعورها وآلامها هكذا ايضاً سينقذني حتماً من شعوري وآلامي
ان فكرة الموت هي الاولى التي ولدت في نفسي قبساً ضئيلاً
من العزاء .

...

لقد انهيت لك قصتي يا سلى وغداً اخبرك كيف انتصرت
على اليأس وحصلت على الراحة والطمانينة

فاجابته سلي : آه كم أغنى لو يتسنى لي ان اسمع اليوم رواية
 انتصارك لعلي اقتني اترك فانتصر مثلك على متاعبي ويأسي .
 الحكيم - هذا هو كل رجائي لأتني واثق كل الثقة بظفرك العتيد
 ولكن لافرق بين اليوم والغد . فاذهبي الى بيتك مطمئنة وصباحاً
 نلتقي هنا ان شاء الله .
 ثم ودعها وذهب كلٌّ في سبيله .

اليوم العاشر

الانتصار على اليأس

ذهبت سلى الى بيتها واخذت تفكر في قصة الحكيم وتقابلها
بقصتها . فرأت شبهاً واضحاً بين يأسها ويأسه لأنها خرجا من
مصدر واحد هو مصدر الحب القاسي الشائن

ثم وقفت طويلاً تمحّص فكرة الموت التي قال عنها الحكيم
انها الاولى التي اوجدت بعض الغراء في قلبه .

وعند بزوغ الفجر ذهبت الى حديقة السيوف لتلتقي به وتسمع
عظته وقد كانت تشعر أنها بحاجة اليها كاحتياجها الى الغذاء والماء .

وصلت الى المكان المعهود قبل وصوله . واخذت تترقب
قدومه بفارغ الصبر .

وبعد قليل اطل عليها . فقامت للحال تحييه ثم سألته فوراً
ان يروي على مسامعها قصة انتصاره على اليأس لأنها تواقه الى
استماعها .

فأجابها الحكيم: لهذا الغرض بكرت الان بقدومي لأنني اعلم

شدة لجأجتك في مثل هذه الظروف القاهرة .

ثم ابتداءً يقص عليها ما يلي :

وبعد مرور ايام عادني صديقي الطالب مساءً واعطاني الجمجمة التي وعدني بها . فوضعتها على المنضدة قرب سريري .
وبعد خروجه اخذت احدق بها فلم ار غير كتلة من العظام تحمل في الفكين بعض الاسنان .

فقلت في نفسي : أليست هذه العظام التي انفقدها الان كانت منذ ايام رأساً حياً كراشي وكان صاحبها شاباً مثلي مفعماً حياةً وممتلئاً حساً وشعوراً ؟

ابن ضياء عينيه وسمع اذنيه ؟ ابن عواطفه وذهنه ؟ ابن قوته وضعفه ؟ ابن فرحه وترحه ؟ ابن هناؤه وشقاؤه ؟ ابن جبهه وبغضه ؟ ابن امله ويأسه ؟

أليست كلها الان في حوزة الموت وقد نثرها على هامش الوجود كما ينثر اللحم عن العظم .

هكذا صرفت ليلتي مفكراً بمصير الانسان و كنت تارة اقلب الجمجمة بيدي وتارة اضعها امامي على المنضدة .
ولما انتصف الليل اطفأت المصباح واستلقيت على فراشي .

لكنني لم اغم بل عدت افكر في الموت واخذت احلل الحياة الانسانية
من المهد الى اللحد .

فبدت لي بعد تمحيصها انها عذاب بعذاب من الطفولة الى
الشيخوخة . لأنني لم اتبين منها راحة لا في الحب ولا في البغض -
لا في الالفه ولا في الجفاء - لا في الشهوة ولا في العفة - لا في
الفنى ولا في الفقر - لا في الأمل ولا في اليأس .

في تلك الليلة لم افكر الا قليلاً بالحبيبة التي كانت وحدها
تشغل ذهني لأن تأملي بالموت هو الذي لو اني عن التأمل بها .
فقلت في نفسي : كما ان فكرة الموت هي التي اقصتني اليوم
عنها فلا شك بأن مشاغل الحياة تقصيني عنها في الغد .
ان في الحياة احلاماً جمة تستوعب الفكر واعمالاً جليلة
تشغل الذهن .

ان هذه الفكرة زودتني ايضاً ببعض العزاء لكنها لم تقوَ ان
ترد علي راحتي

...

وكثيراً ما كنت امشي على غير هدى الى منزل الحبيبة مسيراً
بدافع الوجد والشوق اليها

لكنني قبل ولوجي عتبة البيت كنت اشعر بقوة تستيقظني
فانتبه الى قسمي - ذلك القسم الذي آثرت الانتحار على الخنث به
و كنت لهذا السبب اعود دون ان الج بابها

. . .

ونفضت يوماً باكراً ويمت بلدة صغيرة قريبة من العاصمة
مشهورة بجنائنها وكثرة ينابيعها قاصداً ترويح نفسي من عنائها
وكرها .

فصرفت فيها نهاري متنقلاً من حديقة الى حديقة .
لكنني مثلاً كنت اسرح بين تلك الرياض الغناء هكذا
كانت ذكريات الحبيبة تسرح في ذهني وكانت تؤلني كثيراً وتمحو
من بصيرتي جمال الطبيعة ومشاهدها الخلابة

فاستعنت بربة الشعر لامرئي غني ونظمت هنالك بين حفيف
الاشجار وخرير المياه قصيدة نسم عن شدة الي كما تدل ايضاً على
بريق الرجاء الذي بدأت اشعر به .

ثم انتزع الحكيم من جيبه ورقة قديمة العهد وقال :
هذه هي القصيدة على علاتها كما وضعتها بخط يدي في ١٦ شباط

بالله يا غادتي لا تكذبي خبرا هل كان حبك لي غير الذي ظهرا
 هل كان ذاك الهوى وهماً أهيمن به وكان كل رجائي فيه طيف كرى
 هذا الجفاء بلا اثم ولا حرج

بضني الفؤادو بعيني اللب والبصرا
 هدرت يا هند في هذا الغرام دمي ألا تخافين رباً في دم هدر
 لولا الوفاء لما امسكت عنك يدي ولا تلقيت منك الاثم مغتفرا
 الحب في القلب يبغي بعده اثرأ كالجرح في الجسم يبغي بعده اثرأ

...

يا غادة تركت حبي بلا سبب ما العذر لوجاء منك القلب معتذرا
 قالت تركتك لا عن هفوة صدرت

بل امر ربك في ترك الهوى صدرا

فقلت يا هند هذا الظلم اجمعه والله بالعدل لا بالظلم قد امرا
 هذي الانجيل ايات الوفاء بها وتابع الظلم بالانجيل قد كفرا

...

ان كان قلبك خمر الجهل اسكره فكم فؤاد صهامن بعد ماسكرا
 ستبصرين فتى قد زانه شرف ومهجة تجمع العلياء والكبرا
 وتظنرين بعقل ما فعلت به لا تنظر العين مثل العقل ان نظرا
 ان مت لا تنذر في دمعاً على جدث فالقبر في عطش يستمطر المطرا

هناك لاتزري ورداً ولا حباً هناك لاتنثري زهراً ولا عطراً
دعي القتاد على قبري يكلله
علي شوك الهوى في العيش قد ضمفرا

. . .

عفوتُ عن كل ذنب منك آلمني والنفو عند خيار الناس قد ظهرا
وابحث الان عن صبرٍ اعيش به لا عيش بعد الهوى الا لمن صبرا
ان كان زهر الهوى غني بمعتزلٍ فاني في الفيافي اقطف الزهرا
هناك غلب الفلا في القفر يؤنسني ما ضر ظبي الحى في الدار ان نفرا

. . .

بذلت في الحب ما احويه من شرف فكنت في شرفي بالحب متتحرا
الى متى اترك الاهواء تلعب بي واحمل الهمم والتعنيف والصفرا
يا واهب الصبر منك الصبر اسأله انت الميسر للانسان ما عدرا
يا باعث النور يا هادي الانام به انر شريداً بجنح الليل مستترا
يا رازق الطير بمحييه بلا عوزٍ لاتترك القلب للسوان مفتقرا
ومنقذ الناس من يأس ومن خطرٍ فانقذ من اليأس صبا ادرك الخطرا

. . .

سأترك الغيد والدنيا وزخرفها تلك الأباطيل منها ابتغي الحذرا
واتبع القلم المشوق عاشقه فلا عناء به اشكو ولا ضجيرا
اسمي على جبهة الادهار احفره والدهر يترك للأجيال ما حفره
الا اعتبر ايها القلب المذاب اسي سيبلغ الراحة القصوى من اعتبره

من الثرى كَوْن الجسم الجميل وهل

رأيت جسماً جميلاً لا يصير ثرى

وفي مساء ذلك اليوم بينما كنت راجعاً الى البيت التقيت
بصديقٍ حميم كنت لم اره منذ عامين . وبعد ان حياني سألني :
لماذا اراك هزيراً شاحباً ووجهك متجهماً عبوس مع اني اعهد
الابتسامة لا تفارق شفتيك والورد لا يبارح خديك . فهل تشكو
مرضاً او ماذا ؟

فاجبته : لا اشكو الاً متاعب الحياة ومشاكلها . قال : من
كان مثلك في ميعة صباه وفي ادبه وغناه لا يجب ان يشكو ولا
ان يتألم من دنياه فماذا اذن يقول التاعسون والبائسون ؟

فاجبته : ربما كنت اكثر منهم شقاءً لانني اسبح الان في بحر
من اليأس طفت عليّ امواجه وعصفت انبواؤه .

فإذا اجتزت الشاطئ ، سالماً فقد اعمرو واعيش سعيداً . واذا
لم اتوفق الى النجاة فلست بالاسف على الحياة .

ودعته ومشيت الى منزلي . فشاهدت على رتاجه مشهداً
فاجعاً . شاهدت رجلاً كسيحاً يدب على الارض ديباً وبجانبه
عيلته المولفة من امرأة عمياء تحمل طفلاً رضيعاً على منكبها تقودها
طفلة لا تتجاوز السادسة من عمرها وطفل اصغر منها . وجميعهم
بجمالة رثة موجعة نفتت الالكاد .

وعند ولوجي عتبة البيت سمعت صوت الاستغاثة يخرج من
كل منهم « ارحمنا يرحمك الله » فكان هذا الصوت في اذني لحناً
شجياً من اروع الحان الحياة واشدها تعساً وشقاء .

فنفدت الرجل بعض النقود ثم قلت له زاجراً : الا تعلم ان
من كانت حالته كحالتك يعد زواجه جناية على امرأته وعلى اطفاله
الابرياء وعلى المجتمع الانساني بأسره ؟

فاجابني يهدوء وسكينة : لم اتزوج وانا كما تراني الان ايها
الحسن الكريم . ان حادثاً حدث لي ولامرأتي منذ خمسة اشهر على
طريق العاصمة . لقد اصطدم القطار الذي كان يقادنا اليها اصطداماً

عنيفاً فحسرت رجليَّ وفقدت امرأتي عينيها كما ان غيرنا فقدوا
بعض اعضاءهم وغيرهم خسروا حياتهم .

اننا نشكر الله الذي ابقانا احياء رحمة باطفالنا .

فقلت له : انت تشكر الله على محنتك وتؤثر الحياة على الموت
رغماً من كسحك وفقرك ؟

فاجابني : نعم اشكره تعالى ولا اتذمر من حياتي ولا من هذه
التجربة التي حصلت لي لعلمي وانا مقعد بأأس انفع لنفسي
وللإنسانية .

ان هذا الكسبيح المتسول القى عليَّ امثلة رائعة فثر كته
شاكراً ودخلت مخدعي واخذت الوم نفسي قائلاً :
ان رجلاً جاهلاً كهذا يصاب بمحنة اشد ايلاماً من محنتي
ويعنى بمداواة نفسه وانا انا الشاب الراقى المثقف لا ادري كيف
أعنى بمداواة نفسي ؟

لماذا لا اجد مثله راحة وصبراً .

لماذا لا اعتقد ان انفصالي عن الحبيبة قد يكون اسلم عاقبة لي
كما ان هذه العقبات الكوؤود التي تعترضني الان قد تؤول الى
خيرى وسعادتي

ان هذه الامثلة جعلتني انام تلك الليلة نوماً هادئاً . وعند
الصباح ذهبت الى محلي التجاري واشتغلت بهدوء وعناية حتى
الظهر .

ثم عادني شبح اليأس وخيم عليّ . فخرجت من المحل لاسري
عني ومشيت الى البرية القريبة وصعدت قمة تطل على العاصمة
الجميلة وعلى ابهج المناظر الطبيعية .

فاخذت اجبل طرفي في تلك المشاهد الخلابة التي لم يؤثر
جمالها الفتان في نفسي اقل تأثير .

فعندئذ قلت : هل يعقل ان تكون هذه الارض الجميلة الحاوية
امثال هذه المشاهد الفاتنة لا تستفزني ؟

وهل يعقل ايضاً ان اكون عائشاً في هذا الوسط الراقى في قلب
هذه العاصمة العامرة التي تعج بالقصور وربات الخدور والمتاحف
والزخارف وباندية العلم ومسارح اللهو وبكل ما هو جميل ومفيد
ولا اجد فيها ما يلذني ؟

وهل يعقل ان المخلوقات جميعها لا توازي مخلوقة واحدة ؟
فلماذا اذن لا ابصر غير جمالها ولا احفل الا بها ؟

ان حبها ولا شك اعلّ قلبي واعمى بصيرتي ولهذا السبب
لا انظر جمال الوجود .

اقسمت وانا على تلك الائمة ان اداوي عاتي مهما كلفني الامر
وان اطرح غني هذا الحب الزائف خارجاً .

فبقيت سنة كاملة احارب ذاتي حتى انتصرت انتصاراً باهراً
على اهوائي ونزعاتي .

. . . .

ان مجرد اعتقادي بان الحب الذي يؤلم ويشقى لا يجب ان
يعد حباً بل مرضاً كان كافياً لتشديد عزمي وتهديد العقبات
امامي .

وكان دوائي الناجع الذي ابرأني من كل الم نتركب مواده
بما يأتي :

اولاً : اخذت اسأل نفسي :

لماذا لا ازال احب تلك الفتاة حباً يقرب من العبادة وهي
بلء ارادتها قطعت مواصلي ولم تعد تشعر بحبي ؟

لماذا لا اقدر ان اعيش بمعزلٍ عنها كما قدرت ان تعيش
بمعزل عني ؟

لماذا لا اعلق غيرها كما علقتهما ؟
 لماذا لا اقوى على نبذها كما نبذتني ؟
 لماذا لا اقتنع بانني لست لها ولا هي لي ؟
 ما هي اشد فكرة تؤلمني في حبها ؟
 اليس اشد ما يؤلمني ان اتخيلها تحب غيري ؟
 فيجب عليّ اذن ان اعوّد ذهني ان يتمثلها ليس فقط بجانب
 رجل تحبه بل هي زوجته وام اولاده .
 فمتى تعودت هذا التفكير ولو صعب عليّ اولاً يهون آخرأً ولا
 يعود يؤلمني حتى ولو امسى حقيقة راهنة .
 ان من يتوقع خطباً مهما كان جمللاً يهون عليه .

...

وثانيا اخذت اتسأل

لماذا لا اقدر ان استغني عن حب لم اجن منه غير الالم والشقاء ؟
 وعلى افتراض انني جنيت لذة لا الماً ولم يعد ذلك باستطاعتي
 الان افلا اتبع فلسفة الحياة القائلة :
 اذا لم يكن ما تريد ارد ما يكون .
 واحول ذهني الي لذة غيرها من لذات الوجود

لماذا لا اسعى وراء لذة العمل ؟ افلا اقدر ان اكسب مالاً
وجاهاً واعمل خيراً لنفسى وللناس ؟

لماذا لا اجد وراء لذة العلم ؟ افلا افيد نفسى والانسانية بمعارفى
اذا كنت عالماً خطيراً ؟

لماذا لا اهتم بمداواة نقائصى وتقويم اعوجاجى افلا اجد لذة
باصلاح عيوبى ؟

لماذا لا انبذ محبة الذات المرتكزة على الانانية لا تذوق لذة
المحبة الخالصة القائمة على التضحية .

لماذا لا اسعى وراء اللذة الروحية لذة اكتساب الفضائل
وثقيف النفس ؟

لماذا لا اصرف عمري متفائلاً فاشعر ما حييت بلذة التفاؤل ؟
فاعتقد بحسن مستقبلى بدلاً من اعتقادي بسوء مصيرى .

من انا ؟ من اوجدنى ؟

أليس الذى اوجدنى اوجد مثلى ملائمين من الناس ؟

هل كان وجودى سبب شقائى ؟

او ان شقائى مسبب من عدم تفهمى دقائق الحياة .

اذن يجب عليّ ان اعرف نفسى هل انا صالح ام طالح ؟

فاذا كنت صالحاً أفلا امنح ثواباً عليّ صالحاً ؟
 اذن كل ما يحدث لي يجب ان اعتقد بأنه يؤول الى خيري .
 واذا كنت طالحاً فيجب ان اعتقد ايضاً بان كل ما يحدث لي
 هو بمثابة انذار كي ارتدع عن غيبي وارعوي عن جهالتي .
 وعلى كلا الحالين تعود الفائدة اليّ . لان العناية الالهية
 دائماً تقرب اليّ ما ينفعني وتبعد عني ما يضرني .
 هكذا اخذت ادوي نفسي حيناً بالحكم والمواظ وحيناً
 بتفروغي للاشتغال بالاعمال المادية والادبية .

...

ان الجمجمة التي كنتك عنها لعبت ايضاً دوراً خطيراً في ابلا لي
 لأنني كنت كلما دخلت غرفتي اجدها امامي على المنضدة . واتخيلها
 كأنها تعظني دائماً بان اخلد الى السكينة .

وكم خلتها تهمس باذني قائلة :

كن عاقلاً واعلم ان دوام حال من المحال . اتبع فلسفة
 الحياة التي تقضي عليك بان تدع خارجاً كل ما يؤذيك ولا تعنى
 الا بما يفيدك ويفنيك .

ومنذ ذلك الحين تفرغت لتجاري التي اهتمتها زمناً طويلاً
واصابني من جراء ذلك خسارة جسيمة .

وبعد مرور عام على مواظبة واجتهاد في ملاحقة اعمال عوشت
خسارتي بتمامها . ثم ابتدأت انقدم في اشغالي تقدماً مستمراً .
ولما شعرت بلذة الانتاج عشقت العمل والفتنه . فسلوت
غرامي وجميع متاعي .

وبعد حين شعرت بلذة الحياة الاجتماعية التي كنت قد فقدتها
ابان محنتي وتخلّيت عنها مؤثراً ان اعيش وحدي بلا انيس
ولا سمير .

فتأقت نفسي الى معاشره الناس واخذت ائتاب الاندية
العلمية والحفلات العيلية والمسارح والمراقص وغيرها . وصرت
اجدلذة وجمالاً في كل شيء

عندئذ ايقنت بأنني كنت على ضلال عندما كنت اعتقد
ان تلك الفتاة كانت تساوي في نظري كل الوجود وهي ليست
بالحقيقة الا ذرة صغيرة من ذراته .

وقد نظمت ابياتاً اذكر بها خطأي لا تزال بذاكرتي وهابي
على علاتها :

يحول بخاطري زمن التصاي كجولات الاسنة والحراب
 واذكر صفحة الماضي فيمسي فؤادي في اكثاب واضطراب
 حسبت العمر زهواً مستمراً وما جاء الحساب على حسابي
 خطوط الدهر قد ذهبت ولكن خيال الخطب يظهر في كتابي
 فكم خلت الصواب بكل امرٍ وما انا في الامور على صواب
 هي الايام مرآة ترينا بنضج العمر اغلاط الشباب

وكم كنت اعتقد وانا تحت وطاة اليأس والقنوط انني ولا
 شك بعد ما حدث لي سوف افضي عمري كله دون زواج .

ولكن عند ما دنت الساعة لم ار نفسي الا متزوجاً
 وها انا الان اعيش وامرأتني بامن وسلام نتآلف في السراء
 والضراء وتعاون في تدبير الامور وتهذيب الابناء .

...

والان كلما ذكرت غرامي القديم الذي سبب لي شقاء كثيراً
 اضحك من نفسي دون ان الومها . لاني كنت وقتئذٍ في غضارة
 شبابي وفي عهد هوسي وغروري لاني عهد نفهمي حقائق
 الحياة .

ثقي يا سلى اني لم اسلك طريق الحكمة والخبرة الا بعد ان
 حنكتني الايام وصقلتنى التجارب
 وهكذا انت اليوم مثلي بالامس . لكن تجارب الحياة
 ستعلمك مثلاً علمتني . فتسلحي بقوة الارادة والثقة بالنفس ولا
 شك بانك ستنتصرين على مصاعبك .

اقبلي عظمي فهي عظة مخلص خبير وثقي بالفرج القريب
 وبما يجبه لك الغد . ان الغد لك

سلى — لقد وعيت قصتك وحفظت مواعظك في قلبي وأعدك بأنني
 عزمتم ان اجابه شدائدي مهما كانت وطأتها وان احوم من ذاكرتي
 فكرة التسليم وفكرة الانتحار اللتين كلتكن عنهما سابقاً .

وسوف انصب امامي فكرة واحدة هي فكرة الانتصار على
 متاعب الحب وكل متاعب الحياة .

الحكيم — حسنأ تصنعين فاعلمي لهذه الغاية وقرئاً تجنين ثمار عملك
 ثم ودعها وذهب كل الى منزله .

اليوم الحادي عشر

كيف اعلنت سلمي الحرب على اهوائها

في اليوم العاشر اقسمت سلمي بعد ان ودعت الحكيم بأنها
لا تقابله الا بعد اهتدائها الى طريق النجاة .

فاعلنت حرباً ضروساً على اهوائها وبقيت شهرين كاملين
نناضل مناضلة المستميت

و كانت كلما اجتازت محنة تقع في ما هو اشد منها وكلما نهضت
من عثرة تمنى بعثرة اروع منها . لكنها لم تعدم ثقتها بنفسها وظلت
تكافح الى ان وجدت ابواب الرجاء مفتوحة امامها .

فعندئذ ذهبت الى الحكيم لتعلمه عما حل بها وتستشير به
غمض عليها .

فقصدته الى بيته . وفور وصولها سألتها عن حالها فقالت : انا
منذ اجتماعنا لآخر مرة احارب اهوائي ويعلم الله انني قاسيت اهوالاً
كثيرة دون ان يشني عزمي . وقد قابلت حبيبي مراراً وصارحته
بقطع مواصلته قطعاً باتاً

ومنذ ايام التقيت به في حديقة الصنائع . فاخذ يعاتبني على
جفائي . ثم ابتداً يناقشني مناقشة حادة . وهذا بعض ما قاله لي :
يا سلمى : انت فتاة مثقفة ابنة العصر العشرين عصر النور
والمدينة والحرية لا يجب ان ننظري في الامور كما ينظر ابواك ولا
ان تعلقي الاوهام التي دعاها الاجداد فضائل وما هي بالحقيقة غير
قيود وسلاسل

ما هذه الفضيلة التي تقوم على امتحان الجسد وقمع الطبيعة
البشرية ؟

ما هي نتيجة الزواج المكره واتباع الشرائع الخيالية الواهية
أليس الحب الحر المتبادل هو اشد نفعاً للناس من كل ذلك ؟
فبدلاً من ان تشهريه حرباً عواناً على ملذاتك يجب ان
تبتغي بها .

من تخافين ؟

أتخافين والديك ؟ أتخافين كلام الناس ؟ او تخافين الشرائع
التي تقيدك وتذكرك بنار جهنم ؟
هل تخافين اوهاماً وخيالات لا وجود لها الا في مخيلة القاصري
المدارك ؟

فأجيبته : لا اخاف احداً لا والدي ولا كلام الناس ولا جهنم
بل اخاف منك وحدك لأنني بعد ان بلونك وخبرت مبادئك التي
لا تنطبق على مبادئي ودرست خلاالك التي لا تألف خلالي أثرت
ان ابتعد عنك ابتعاداً لا لقاء بعده .

فاذهب في سبيلك لا انا لك ولا انت لي . فاجابني : هل
يعقل ان اكون كذلك . اما كنت منذ نعارفنا معجبة كل الاعجاب
بذكائي ومعارفي وطلاقة لساني وخفة روحي .

فهل انا اليوم غيري بالامس ؟

او هل امسيت ننظرين اليّ بغير عين وتحمين عليّ بغير
ذهن .

فأجيبته لا ازال انظر بعيني واحكم بذهني بيد اني كنت ابصر
القشور فصرت ابصر اللباب وكنت احكم على جمال الوجه فصرت
احكم على جمال الروح .

فأجابني بامتعاض : من علمك هذه الفلسفة الواهية التي لا تتركز

على الاساس الطبيعي وهو جوهر الوجود

ما هي الروح وما هو جمالها ؟

دعينا من النظريات العقيمة التي لا ندركها وتأمل في نزعات
الطبيعة التي اوجدتنا .

اذ لم تلتعش الشجرة لا تعطي زهراً او ثمراً جميلاً .
ان اللذة والجمال والحياة كلها تتولد من تلقيحها لا من عقمها
وكبح جماح رغباتها

وما هي نتيجة الطبيعة المكبوحه ؟
أليست هي الموت وفناء الاجناس واضمحلال الحياة من
الارض ؟

الا تعلمين ان اللذة التي تحاربينها وتريدين ان تبتعدي عنها
هي كل شيء في هذا الكون لأنها هي الحياة بعينها
اذن انت لا تقاومين اللذة الطبيعية بل تقاومين الحياة التي
اوجدها الله انت تقاومين الله .

فأجبتة : انت محام لا يصعب عليك كثيراً ان تجعل الحق
بطلاً والبطل حقاً . ولهذا السبب ارجو منك ان تدعني وشأني
ولا تدخلني في تجربة .

ثم تركته وانصرفت الي منزلي .

ونهار امس صادفته على طريق الشام فطلب مني بالحاح ان
اسمع كلمته الاخيرة . فقال بعد التيمّ والتيمّ :
هل انت مصرّة على قطع مواصاتي ورفض طابقي ؟ فأجبتة :
نعم . فقال بمنق : من هو هذا الخائن اللئيم الذي حولك عني
ولواك عن محبتي ؟

فأجبتة : لا احد حولني عنك سوى عقلي الذي انذرتني بالمحافظة
على شرفي . لان الشرف والحب الحر الذي تدعوني اليه متناقضان
وانا لست مستعدة ان اضحي بشرفي في سبيل حبي .
ولهذا السبب سلمت زمامي الى عقلي الذي انتصر عليّ وعليك
فقال : ان فكرة الشرف هي فكرة سخيقة تقتل رغباتك دون
ان تنالي اجراً ولا مغناً .

وهل فانك ان من قتل رغباته فقد قتل نفسه ؟ فأجبتة :
فكر بما تشاء . اما انا فلا ارجع عن مقاطعتك مهما كلفني الامر .
وعندئذ خاطبني متأثراً : اني آسف جداً على زهرة صباك
تعبث بها الايام وتذويها الطبيعة دون ان يتسنى لي اجتنائها او
على الاقل شم رائحتها الذكية .
ثم ودعني حزينا دامعا . فتأثرت لحاله .

والان تراني ايها الحكيم خائفة ان يؤلمه جفائي كما آلمني سابقاً جفاؤه
وان يستسلم لليأس والقنوط

وبما أنني خبرت الجفاء في الحب وعرفت ما يتركه في القلب
من عوامل الاسى والاضطراب يعز عليّ كثيراً ان اكون سبب
تعبه وشقائه . خصوصاً عندما افكر كيف كانت حالتي لو لم
تتداركني بحكمك ومواعظك .

الحكيم — لا تخافي عليه . بل ثقي ان جفائك لا يذهب به الى اليأس
ولا يزعجه طويلاً . لان حبه ليس صادقاً حبك ولا اخلاقه سامية
كاخلاقك ولا صفاته حميدة كصفائك . واذا شعر بما يزعجه طويلاً
فذلك من جراء حبه لذاته لا من جراء حبك

ولو كان بوسعك ان تعرفي دخائله لوجدته الان يقول في نفسه :
يا لها من فتاة قوية الارادة طاهرة الذيل لم يؤثر عليها جمال شبابي
ولا قوة منطقي ولا دهائي لم اقدر ان استبيحها كما استبحت غيرها
سلي — اود من صميم الفؤاد ان لا يضيره ابتعادي كما تعتقد لأنني
لا اريد به سوءاً ولا ارجو له الا الخير . اني احبه حباً جماً ولم
ابتعد عنه الا لبعض نقائصه وعدم احترامه للشرائع .

والآن مضى كل شيء لكن اسمح لي ايها الحكيم ان اسألك

ما هو رأيك الصريح في الشرائع الانسانية وعلى الاخص الشرائع الحاضرة

هل هي مفيدة للبشرية او عالة عليها .

الحكيم - ان سوءالك يا سلى يستغرق درساً كثيراً وتمحيصاً طويلاً
لكني اقول لك بصراحة وبإيجاز . ان الشرائع لازمة للناس لزوم
الغذاء لأجسامهم . ولا اظن انهم يستغنون عنها . مهما بلغوا من الرقي
والتمدن .

ولكن قولي هذا لا يعني ان الشرائع يجب ان تثبت على
كيانها الى الابد بل هي خاضعة لسنة النشوء والارتقاء كما تخضع
العلوم والفنون والصناعات المختلفة .

ومن يتصفح تاريخ الشرائع البشرية منذ نشأتها حتى الان
يرى انها لم تخلق دفعة واحدة في عقول الناس بل شيئاً فشيئاً بقدر
احتياجهم اليها .

ولهذا السبب فهي تتطور تدريجياً كلما تطورت اخلاق الناس
وترتقي كلما ارتقوا في علومهم ومداركهم .

كيف لا وهي مظهر من مظاهر نفسياتهم وعامل من عوامل
بيئاتهم واخلاقهم .

فكما ان الصوان لم يعد سلاحاً قطعاً للانسان بعد ان اكتشف الحديد واصطنعت الخناجر والسيوف وماتت الالات الحادة . وكما ان هذه بدورها لم تعد جزيلة النفع بعد اختراع البارود واصطناع البنادق والمدافع وما شاكلها . فهكذا هي الشرائع القديمة لم تعد اليوم سلاحاً روحياً للناس بعد ان سبروا غورها وحلوا رموزها ثم اعتدوا الى ما هو احسن منها .

وكما انه ليس يعيد ذلك اليوم الذي تحل فيه الكيمياء محل اسلحتنا ومعدنا الحرية الحاضرة فتصبح الحروب المقبلة بالغازات والسوائل الكيماوية لا بالقنابل والقذائف النارية . هكذا ولا شك سيأتي يوم يعتنق الناس فيه شرائع جديدة تحل مكان شرائعنا الحاضرة التي تصبح بالنسبة اليهم كنسبة الشرائع القديمة اليها .

ولا شك ان بعض ما نعتقده اليوم حقاً سينظره الاحفاد بطلاً اما الشرائع الحاضرة فانها ولو كانت في نظري غير بريئة من الشوائب ولا معصومة من الخطأ فانا افضل اتباعها الى ان يتسنى للمسترعين والمفكرين ايجاد ما هو انسب منها ان الطفرة على الشرائع والثورات على الانظمة الاجتماعية قبل

اوانها مضره جداً لأنها تهدم كيان الاجتماع وتقذف بالناس الى
حماة الفوضى فالتقهقر

ماذا يحل بنا لو قمنا الآن نهدم بوئنا القديمة قبل ان نبني ماهو
افضل منها .

أليست هذه البيوت التي نساكنها افضل من الاكواخ
والمغاور؟

هكذا يبدو لي ان اتباع الشرائع الحاضرة انفع لنا ما زلنا غير
مهتدين الى شرائع تفضلها .

ان سلم الارثقاء الادبي والمادي تشبه سلام البيوت . فمن رام
ان يصعد الى طبقة لا يقفز قفزاً بل يصعد درجة درجة ليلبغ
مرامه .

ومن يحاول الصعود قفزاً لا ينجو من السقوط . هكذا
الناس في شرائعهم وقوانينهم يصعدون سلم الارثقاء الادبي درجة درجة
لا قفزاً كي يتحاشوا العثرات .

...

اجل انني لست من المعتقدين بكال الشرائع ولا من الناقمين
عليها الساعين لهدمها بسبب بعض نقائصها . بل من التابعين لها

المحبين لاصلاحها الآثل طبعاً لاصلاح الجنس البشري .

• • •

اما ما يختص بما قاله لك ذلك الشاب : ان الشجرة لا تعطي
زهراً بديعاً ولا ثمراً جميلاً دون ان تلقح فهو كلام حق لا غبار عليه
ولولا ذلك لما كان للوجود معنى

لكن الشجرة الطيبة لا تعطي ثمراً طيباً اذا لم نحسن نلتقيها .
ألم اقل لك سابقاً انني لا ادعوك الى التبتل بل الى معرفة
اختيار الشاب المناسب لك

واذا انت احسنت الاختيار فذلك لا يعني انك تقاومين
الطبيعة البشرية ولا الحياة التي اوجدها الله لتنمو وتتناسل على
الارض .

بل بالعكس تكونين من اشد مناصري الحياة الانسانية على
نموها وتحسينها .

سلي - انني واثقة بكلامك وواعية حكمك ومواعظك لكنني اقر واعترف
امامك بأنني ولو كنت بملء ارادتي قد قاطعت ذلك الشاب الذي
لا يستحقني من جراء تصرفاته الشائنة فلا ازال كلما خطر بباله او

وقع نظري عليه اشعر بارتعاش في عروفي وحب مبرح في قلبي لا اقوى
على كبجه حتى الان .

واود لو يثنى لي ان انظر اليه كما انظر الى غيره من الناس
وافكر به كما افكر بهم ايضاً دون ان يمتريني رعشة ولا يهزني
هوى .

الحكيم - هذا امر طبيعي ياسلى ولا مناص منه الا بقوة الارادة ومرور
الزمن . ولكن نقي انك قد شفيت من مرض الحب وبلغت دور
النقاهاة غير اني انصحك بان تتجنبي موقتاً كل ما يؤلمك ويؤثر
بك الى ان تستعيد قواك بتمامها .

ان النقاهاة من الامراض الادبية كالنقاهاة من الامراض
المادية لا تأتي دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً
فالى الامام ياسلى الى الامام .

سلى - كن واثقاً ايها الحكيم انني سأجاهد الى النهاية لأن قصتك ومواعظك
واختباراتك العديدة اثرت في نفسي تأثيراً عظيماً حتي امسيت
اعتبرها عدتي في النوائب وسلاحي على المصاعب .

ومتى فتح الله بوجهي ونلت نصراً مبيناً اعود اليك لالتأدية
الشكر فقط بل لأريك ايضاً نتيجة صنعك

اليوم الثاني عشر

أكليل الغار

مضى زمن يقارب العام دون ان يرى الحكيم وجهه صلى لكنه
كان طيلة هذه المدة يستعلم عنها ويتنسم اخبارها

وفي صباح يوم من ايام اذار سنة ١٩٣٣ جاءت صلى الى منزله
ومعها شاب رزين طلق الحياء تبدو على وجهه ادلة الذكاء والنشاط
وفور مقابلته لم تترك له مجالاً ليسألها عن حالها بل بادرت به من
تلقاء نفسها بهذا الكلام

جئت ايها الحكيم بعد غيبة طويلة لا أشكرك على صنيعك ولا أظهر
لك امتناني لا اعتنائك بي في ايام محنتي واسدائك اليّ تلك النصائح
الغالية التي لولاها لما حملت اليوم أكليل الغار ولا اهديت الى
طريق الحق والخلاص

اجل لقد كلفني انتصاري مشقة عظيمة انت تعلمها .
والان جئت لأعذك انني والحمد لله وجدت ضالتي المنشودة
ثم اوامأت بيدها الي رفيقها وقالت بفرح وحبور ها هو امامك :

انه لعمرى شاب اديب يحمل في رأسه دماغاً نيراً وضميراً حياً
ويحضن في صدره شجاعة مقرونة بالحلم وعاطفة مزدانة بالاخلاص
وكرم الاخلاق .

ها هو الرجل الذي وعدني به في بعض مواعظك . وقد صحت
نبوءتك وحصلت بفضلك على كل ما اتمناه .

ومما يدهشني ايها الحكيم انه لم يملك قلبي فقط بل ملك ايضاً
محبة والدي الذين اصبحا يعطفان عليه كعطفهما عليّ انا .

لقد تمت خطبتنا البارحة . ومتى نقرر موعد عقد الزواج ندعوك
لتشرّفنا بحضورك

فشكرها الحكيم ثم اخذ يتحدث الشاب في شتى المواضيع .
ولما خبره وعرف ما ينطوي عليه من الادب الجم وكرم الاخلاق
هنأهما تهنئة حارة .

قالت سلمي : بما اننا على وشك الدخول في حظيرة المتزوجين
أفلا ننفعنا ببعض النصائح المفيدة .

فعندئذ قال لها الحكيم :

ان ايام الخطبة هي ايهج ايام الحياة واكثرها سعادة وهناء .

فلكي يكون زواجكما سعيداً كأيام الخطبة يجب عليكما اتباع
هذه النصائح البسيطة .

اولاً: ان يحب كل منكما رفيقه ويحترمه لان الحب المقرون
بالاحترام لا تشوبه شائبة

ثانياً: على كل منكما ان يظهر عطفه واحترامه لعياله رفيقه وان
يتجنب انتقاد افرادها . لان الانتقاد يقود الى سوء التفاهم الذي
يؤدي غالباً الى الخلاف المتواصل بين الزوجين .

ثالثاً: ان لا نتسلط عليكما الغيرة الطائشة التي تنغص الحياة
الزوجية وتبعد عنكما السعادة الحقيقية .

رابعاً: يجب على كلا الزوجين ان يدرس رفيقه درساً دقيقاً ليعلم ما
يسره وما يغيظه . وعليه ان يحافظ على عواطفه محافظة فعالة . وان
يضحى في سبيل رضاه ما امكنه ذلك . لان الحياة الزوجية الهنيئة
لا يحصل عليها الزوجان بلا تضحية .

فاذن يجب على كل منكما ان يعلم جيداً بان التضحية هي وجودها
مبعث الرجاء والمحبة واساس السعادة الدائمة .

ولا يسعني عن بالكما انكما مهما تشابهتما في الاخلاق والصفات
فلا بد ان يكون بينكما تفاوت في بعض الاميال والتزعات فيجب

ان نشفها في كل الامور باخلاص ومودة لابخصاص وشدة .

خامساً : لا تصرفا فوق طاقتكما واذخرا شيئاً من دخلكما
للأيام السوداء كي تقضيا العمر بمنزل عن الحاجة التي هي من اعظم
اسباب التنافر والشقاق بين الزوجين .

سادساً : يجب ان لا يعتمد الزوجان ان ليس عليهم غير الواجبات
الزوجية . فبصفتهما عضوان من اعضاء الاسرة الانسانية فعلى كل
منهما ان لا ينسى واجباته نحو اهله ولا نحو اصدقائه ولا نحو
النادي الذي ينتمي اليه ولا نحو البيئة التي يعيش فيها .

سابعاً : ان الحياة الزوجية ليست حياة عبودية واستبداد
وخيانة بل حياة مساواة واخلاص ومحبة . فمتى عرفت ذلك وعشتما
متساهلين لا تفوتكما السعادة .

ثامناً : اذا اخطأ أحد الزوجين بامر من الامور فلا يجب ان
يجابه الاخر بالعت والشتيمة بل بالرفق المقرون بالارشاد الهادي
ومن لا يرعوي بالنصائح اللطيفة لا يرعوي بالحرب
وعندي ان الاهمال المطلق خير من الصياح الدائم .

تاسعاً : لا شيء يزعج الحياة الزوجية مثل (النقيق) المتواصل
الذي بضر كثيراً ولا يفيد شيئاً .

ان التيقق للضفادع لا للناس
ويا ليت بعضهم او بالاحرى اكثرهم يققون ذلك ويعلمون
ايضاً انهم (بنقيتهم) المتواصل على ازواجهم او على زوجاتهم او على
اولادهم او على خدمهم او على غير ذلك انهم لا يستفيدون شيئاً بل
بالعكس يعرفون حياتهم الزوجية ويهدمون بايديهم صرح سعادتهم
وينغصون عائلاتهم ويشتون افرادها بكثرة تدمرهم وشكواهم
عاشراً : لكي تبقى الصلة الحية بين الزوجين زاهية زاهرة
الى طور الكهولة والشيخوخة فيجب ان ترافقها الصلة الروحية
اي ان نعد روحاها بحب ادبي لا يشيخ ولا يهرم .

وهذا الحب الادبي الروحي لا ينمو بين الزوجين على مرور
الاعوام الا بتناسب الاميال والاذواق وبقوة المحافظة على حسن
المبادئ وكرم الاخلاق .

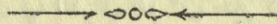
هذا بعض ما املاه عليّ اختباري في الحياة الزوجية ولم تزل
هنالك امور كثيرة اغفلتها او بالاحرى لم اختبرها بعد
ان الحياة مدرسة الاحياء من البداية الى النهاية
والبيب اللبيب في نظري هو من خبر ذلك ووعاه وعرف
ان يستفيد من دنياه

ثم وجه الحكيم كلامه الى سلى وقال لها :
 لا تعتقدي يا سلى ان متاع الحب هي كل متاع الحياة :
 لم يزل امامك متاع كثيرة . متاع الحياة الزوجية -
 متاع تربية البنين - متاع نفقات المعيشة - متاع تدبير
 المنزل - متاع السياسة والاجتماع - متاع متاع لا تحصى -
 لكنها كلها مفيدة ومستحبة عند من يدرك سر الحياة ويعلم
 انها جهاد مجاهد .

والبطل المجاهد ينزل وحده اكليل الغار .
 فجابت سلى وخطيبها بصوت واحد :
 اذن سنجاهد الى النهاية لعلنا ننال برعايتك وجهادنا اكليل
 الغار .

ثم ودعاه شاكر بن وانصرفا .

انتهى



فهرست

صفحة	صفحة
استئناف الحديث، القبة الاولى ٣٦	❖ اليوم الاول ❖
٤٤ معرفة والدي بگرامي	٥ الحكيم على طريق النزهة
❖ اليوم الخامس ❖	٦ في الخيمة
٤٨ الحكيم وحده بتأمل في الحب	٩ حديث التعارف
الذي لا تتألف فيه الاخلاق	١٣ سلمى نقص حديث غرامها
❖ اليوم السادس ❖	الابتسامة الاولى
٥٢ سلمى ننهي قصتها والحكيم	❖ اليوم الثاني ❖
يتلو عليها بعض تأملاته	٢٠ الحديث الاول
❖ اليوم السابع ❖	٢١ اللقاء الاول
٦٢ سلمى وحديث حبيبها عن	٢٣ اللقاء الثاني
الزواج الطبيعي	❖ اليوم الثالث ❖
❖ اليوم الثامن ❖	٢٩ وحدة ومناجاة والم
٧١ الحكيم يقص على سلمى	❖ اليوم الرابع ❖
موجز حديث غرامه	٣٣ ارق وهذيان

صفحة	صفحة
❖ اليوم الحادي عشر ❖	❖ اليوم التاسع ❖
كيف اعلنت سلمى الحرب ١١٨ على اهوائها	الحكيم يخبر سلمى عن ٨٤ عذابه وبأسه بعد جفاء حبيبته
❖ اليوم الثاني عشر ❖	❖ اليوم العاشر ❖
١٢٩ اكليل الغار	١٠١ الانتصار على اليأس

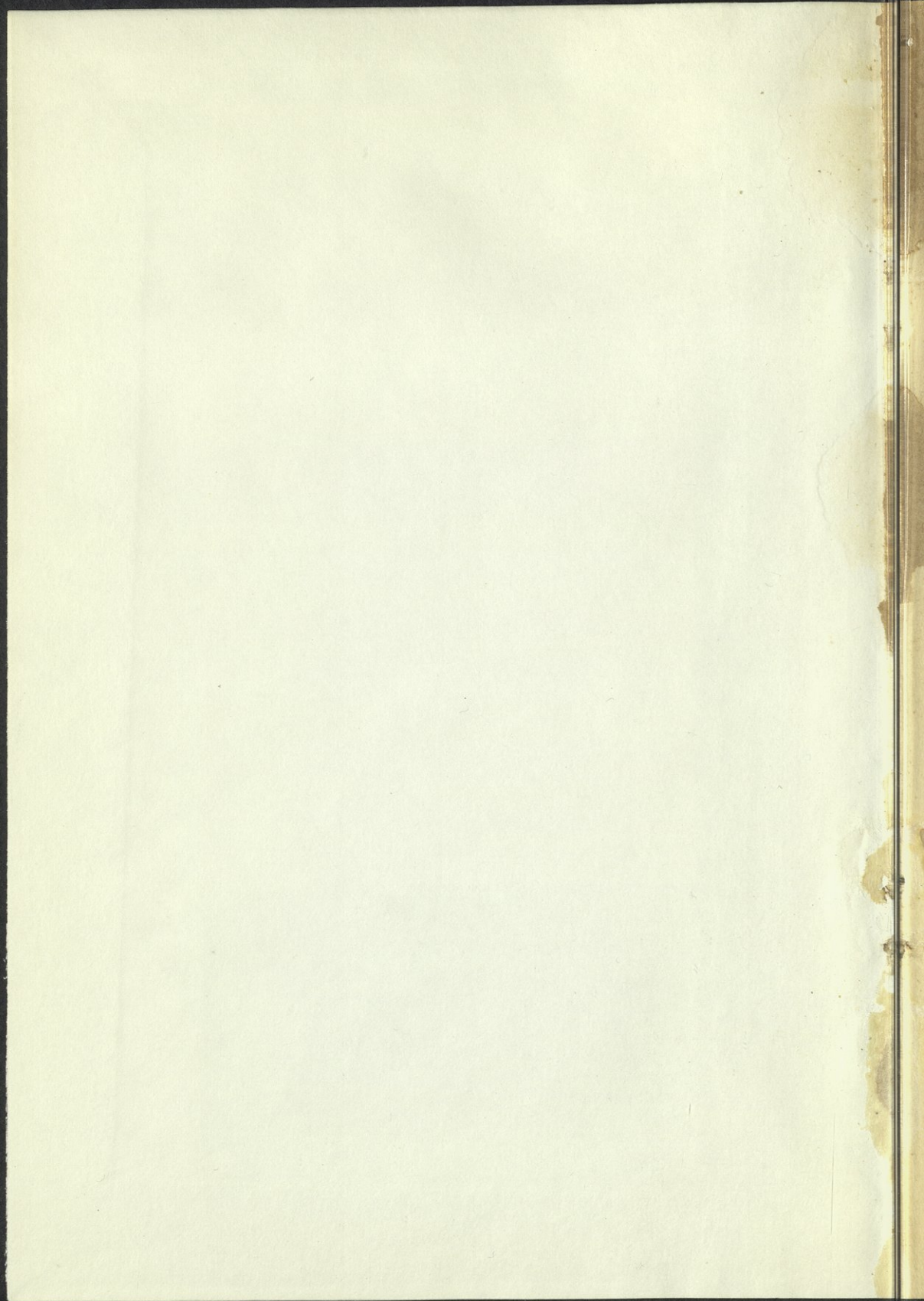
انتهيت من وضع هذا الكتاب في ١٢ اذار سنة ١٩٣٣ في مدينة بيروت العامرة

توفيق حسن نادر

السمرقوني

تصحيح خطأ

صفحة	سطر	خطأ	ضواب
١١	٧	يزيدك	ويزيدك
٦٣	١٣	الحقل	الحقل
٨٣	١	الحفاء	الجفاء
١٢٧	١	لاصلاحها	اصلاحها
١٢٨	٤	بعتري بني	تعتري بني
١٣٣	٢	ويعلمون	ويعلمون



[illegible]

A. U. B. LIBRARY

السريوني، توفيق، حسن

الحكيم وسلمي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01038173



892.78
Sh562hka
c.1